بنت مصرية

فى

أمريكا

كريمة كمال

مكتبة غريب

بنت مصرية
فى
أمريكا

كريمة كمال

بنت مصرية في امريكا

مكتبة غريب

الرحيل ·· نفاثة تتخطى بك مسافات طويلة ·· لتهبط فتستقبلك الغربة ·· تفصلك عما تركته وراءك ·· تحاصرك باحساس شديد من الوحدة ·· وكأنك تسقط فى فراغ ·· تصبح هشا يهزمك الاحتياج ··· تتوق الى أذن تسمعك وعين تراك وعقل يفهمك ·· لكن فى الغربة ·· الآذان كلها متشابهة ·· والأعين كلها واحدة ·· والعقول كلها لا تختلف ·· فجأة يختفى من حولك من اعتدت أن يحوطوك بجدار من الحب والدفء والاهتمام ·· يبتعد صوتهم وتتوه ملامحهم وراء غلالة البعد ·· وكأنك فقدت شرنقتك·· ·· تشعر بفراغ هائل فى صدرك ·· بانك عار ·· لا شىء يحميك ·· وكأنك تحتاج الى قوة الأرض لتواجه هذا الاحساس الذى يسرى فى جسدك ·· ويمسك بانفاسك وانت تدخل تجربة خاصة جدا ·· وعامة جدا ·· تجربة الغربة !

الحياة فى أمريكا
تبدأ من هنا !

عندما انطلقت الطائرة من القاهرة فى طريقها الى نيويورك ٠٠ انتابنى شعور غريب مختلف تماما عن الشعور الذى اعتدته فى رحلاتى السابقة ٠٠ فأنا ذاهبة الى أرض العالم الجديد كما اننى لست ذاهبة فى هـذه الرحلة كنصف سائحة ونصف صحفية لكننى ذاهبة للدراسة فى احدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية ٠٠ أى أن الأمر لن يكون سياحة أو صحافة ٠٠ لكنه حياة فى هـذا المجتمع ٠٠ وأمريكا ليست أى مجتمع ٠٠

وصلت الطائرة الى نيويورك ٠٠ هبطت فى مطار كيندى ٠٠ وتقدم شخص قدم نفسه لى على أنه موظف فى هيئة المساعدات ٠٠ وقدمنى لموظف الجوازات الذى أنهى اجراءاتى بسرعة ملحوظة ٠٠ وأخذنى بسرعة حيث توجد الحقائب وسحبت حقيبتى ٠٠ فتلفت الرجل حوله متسائلا ٠٠ « أين باقى الحقائب ؟ » ٠٠

قلت : أن هذه كل حقائبى ٠ قال الرجل ٠٠ مندهشا « فقط » وعندما أجبت بالايجاب قال بنفس نبرة الاندهاش التى لم تفارقه « غريبة »لقد اعتدنا أن يحمل المصريون حقائب كثيرة ثقيلة حتى أننى بدأت أشك فى أنهم ينقلون بداخلها حجارة الهرم!؟! وفى خارج المطار استدعى الرجل سيارة أجرة وقال للسائق أن يتجـه

الى مطار « لاجوارديا » وهو مطار الخطوط الداخلية فى نيويورك ٠٠ أسرعت اشكر الرجل وأنا أدلف بسرعة داخل السيارة فقد كان الجو باردا وكنت قد تركت القاهرة تنفث حرارة ٠٠ وملابسى كانت ملائمة لهـذا الجو ٠٠ولم اكن أعلم أن الجو هنا « صاحب مزاج » يغير رأيه فى كل دقيقة ٠٠ وانطلقت السيارة ٠٠

مررت بنيويورك ولم أرها ٠٠ اجتزت طريقا سريعا خارج المدينة ٠٠ وفى دقائق كنت أمر من بوابة مطار « لاجوارديا » فى طريقى الى الطائرة التى ستقلنى الى « واشنطن » ٠٠ كم تمنيت لحظتها أن أرى نيويورك ٠٠ مانهاتن وتمثال الحرية ٠٠ برودواى واضواء المسارح ٠٠ ولكننى ولأول مرة كنت أتبع نظاما معينا قد وضع لى ٠٠ ولا أخضع لاهوائى ورغباتى الشخصية ٠٠ اننى اتحول دون أن أدرى الى جزء من هـذا النظام ٠ وهأنا ـ كما هو محدد لى ـ أتخذ مكانى على الطائرة المتجهة الى واشنطن ٠٠ ان السياحة كارت بوستال ملون ٠٠ أما الحياة فهى لحم ودم ٠٠ تحدى وهروب ٠٠ نجاح وفشل ٠٠ صرخات وضحكات ٠٠ ومئات التفاصيل الصغيرة ٠٠ التى تلفك تدور بك ٠٠ وتصهرك فى هـذا المكـان ٠٠

وصلت الطائرة الى واشنطن ٠٠ استقبلتنى المدينة والظلام يسدل ستاره عليها ٠٠ كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة ٠٠ ان واشنطن تبدو هادئة وقورة فى الليل ٠٠ انها ليست أمريكا التى نسمع عنها ونراها على الشاشه ٠ فمبانيها ليست شديدة الارتفاع ولا تزدحم بناطحات السحاب ولكنها رقيقة ناعمة تخترقها مساحات من الغابات الخضراء تحيط بالعديد من البحيرات ٠٠ ونسيت تماما كل ما اختزنه عقلى عن أمريكا وأنا أتابع هـذا الجمال الطبيعى الخالى تماما من بهرجة المدنية وضجيجها وابهارها ٠

وصلت الفندق الذى أعطيت اسمه لأجد غرفة محجوزة باسمى ٠٠ وضعت حقيبتى ٠٠ وشعرت بالجوع ٠٠ سألت : فقيل

لى ·· ان الفندق ليس به مطعم ·· ولم أجد بدا من الخروج للبحث عن مطعم قريب ·· وقفت أمام موظف الاستقبال أسأله ·· فقال أن هناك عددا من المطاعم على بعد ثلاثة أو أربعة مبان ·· وبدأت أهبط السلالم القليلة فى طريقى الى الباب ·· عندما سمعت صوته يأتينى من خلف ظهرى قائلا ·· « خدى حذرك ·· فالخروج فى مثل هذا الوقت خطر » ·· وتمتمت قائلة « هذه بالضبط أمريكا كما توقعتها » ·· وحتى لا أفقد بقية شجاعة بقيت من تأثير الجوع ·· انطلقت الى الخارج ·· لأدخل أول مطعم صادفته ·· كان مطعما صينيا ·· فجأة تحول كل شىء حولى له ملامح صينية وكأنى فى الصين ·· المكان ·· شكل الموائد والكراسى ·· معظم الجالسين ·· الجرسونات الموسيقى ·· وأمسكت بقائمة الطعام ·· ولم أفقه شيئا ·· كلها أطباق صينية ذات أسماء عجيبة وتعلمت فى هذه اللحظة انك فى أمريكا يجب ان تعلم كل شىء عن العالم كله ·· طعامه وعاداته ·· فأمريكا هى الكرة الأرضية فى دولة واحدة ·· والتقطت لفظ « تشكين » أى دواجن ·· وحمدت ربنا أننى وجدت شيئا يمكن أن أعرفه فى هذه القائمة الصينية وجاء الطبق ولم أجد شيئا مما أعرفه عن « الفراخ » ·· لا « ورك » ولا « صدر » ولا حتى الطعم ·· لكنها على كل حال كانت لذيذة الطعم وان لم تكن « فراخ » بأى حال من الأحوال !!

وفى الصباح كان على أن أذهب الى مكان يسمى « المريديان هاوس » حيث يوجد « الانترشيونال سنتر » الذى أتلقى فيه لمدة أسبوع ما يطلقون عليه هنا « تمهيد » وقد ظللت أتساءل عن معنى هذا « التمهيد » ·· حتى عرفت أن مهمة هذا المكان هو أن يمهد لك لتحيا فى أمريكا ··

وهكذا قررت أمريكا أن تقدم نفسها الينا ·· أن المتعارف عليه عندما تقدم نفسك الى شخص لا تعرفه ·· أن تبدأ باسمك ومهنتك وجنسيتك ثم تحكى له تاريخ حياتك ··

وهكذا أيضا تقدم لك الدول نفسها ٠٠ فهى تذكر لك اسمها وموقعها وشعبها ثم تحدثك عن تاريخها ٠٠ الا أمريكا !!

تقدم لك أمريكا نفسها من خلال السوبر ماركت والاندرجراوند ٠٠ ثم تحدثك عن الجنسيات المتعددة التى تعيش فيهـا ٠٠ وهى لا تنسى أن تحدثك عن الأقليات التى تحيا بها ٠٠ فتحدثك باستفاضة عن السـود الذين جاءوا اليها كعبيد وتحرروا ٠٠ ليتحولوا الى مشكلة أمريكا التى لا تنتهى ٠٠ وتحدثك باقتضاب عن الهنود الحمر ٠٠ أصحاب هـذه الأرض الأصليين الذين تحولوا الى فرجة للسياح تقبض أمريكا ثمنها ٠

عندما وصلت الى المكان ٠٠ كان فى استقبالنا مجموعة من الأفراد معظمهم من النساء ٠٠ شرحوا لنا أن هـذا المكان مخصص فى اعطاء محاضرات كمدخل للولايات المتحدة الأمريكية ٠٠ لذلك يطلقون عليه « الباب » الى طريقك للولايات المتحـدة الأمريكيـة وجلسنا فى حجرة صغيرة ٠٠ أنا وآخرون اكتشفت أنهم جاءوا لنفس الغرض من أنحاء العالم ٠ وفى لحظات تحولنا الى ما يشبه أمم متحدة صغيرة ٠٠ جنسـيات ٠٠ ملامح مختـلفة ٠٠ ألوان مختلفة لغات مختلفة ٠٠ لكننا جلسـنا جميعا أمام أمريكا لتقدم لنا نفســها ٠

نحن أبناء العالم الثالث صاحب التاريخ الطويل والمشـاكل المتراكمة ٠٠ أمام أمريكا التى بلا تاريخ لكنها تملك حضارة اليوم ٠٠ المدنية ٠٠ التكنولوجيا ٠٠ العالم الجديد ٠٠ جلسنا وفى رأس كل منا أن يجد لبلدة الحل !!

لكن كيف قالت لنا أمريكا ٠٠ أنا أمريكا ؟

.. بدأ الأمر برجل قدم نفسه بأنه استاذ فى التاريخ ٠٠ وقال انه سيتحدث تحت عنوان « كيف تفهم الشـعب الأمريكى » ٠ بدأ

الرجل يشرح كيف ان الشعوب تختلف فى العادات وحتى فى التصرفات اليومية ‥ ثم بدأ يحكى أن شخصا أمريكيا ذهب للعمل فى دولة بالشرق الأوسط ـ أعتقد أنه كان يتحدث عن مصر ـ وأن هـذا الأمريكى ذهب للقاء عمل مع رجل من أهل هـذا البلد ‥ وفوجىء الأمريكى بالرجل يستقبله بالترحاب ‥ ثم يسأله عن صحته وأحواله ‥ وهل لديه أطفال ‥ وما هى أعمارهم وفى أى مدارس يدرسون ‥

ودهش الأمريكى وتساءل فى نفسه ‥ ما دخل هذا كله فى موضوع العمل الذى التقيا من أجله ‥ لأن الأمريكى تعود أن يدخل مباشرة فى الموضوع دون التطرق الى تفاصيل شخصية ٠ لذا شعر بالاستياء والغيظ لضياع كل هـذا الوقت ‥ قال المحاضر ان الرجل ربما يحتاج الى أن يعقد صلة انسانية قبل أن يتحدث فى العمل ‥ وانه يعتبر هذا نوعا من الكوبزى الانسانى المطلوب لازالة جليد عدم المعرفة بينك وبين أى شخص قبل أن تستطيع التحدث معه فى أى موضوع حتى لو كنت ستحادثه فى العمل ‥ لكن الأمريكى لا يفهم هـذا ‥ فهو عملى يدخل فى الموضوع مباشرة ‥ والعلاقات الشخصية عنده شىء والعمل شىء آخر ‥ فالعمل عمل !!

استولى على شعور بانك تستطيع أن تركب طائرة فتلغى المسافات ‥ تستطيع أن تتقن لغة هؤلاء البشر ‥ لكن تظل هناك مسافات أخرى ‥ ولغات أخرى لا تستطيع أن تقطعها أو تتقنها ‥ فهى تصرفات وملامح يومية دقيقة لا تدركها الا عندما تنتقل لتحيا داخل هـذا المجتمع ‥ وشعرت أكثر اننى مقبلة على تجربة مختلفة ، فهؤلاء بشر ‥ والبشر فى بلادنا بشر آخر ‥

وتساءلت فى نفسى هل يكون هـذا هـو السر فى معجزة الوصول الى هـذه المدنية المبهرة ‥ ربما ؟!

ثم قدمت لنا أمريكا نفسها من خلال الحياة اليومية فيها ·· وقف المحاضر يحادثنا على الطريقة التى يمكنك بها أن توقف سيارة أجرة فى الطريق !! ·· بل وضع « جهاز بروجيكتور » فانوس سحرى وعكس الجهاز صورة شخص يشير بيده الى احدى السيارات الأجرة ·· وشرح الرجل الطريقة التى يجب أن تشير بها بيدك ·· فلا ترفعها عاليا ولا تخفضها ·· بل اجعلها فى مستوى متوسط !!

وشرح المحاضر كيف تنادى على الجرسون عندما تدخل مطعما ·· فلا تطقطق بأصابعك لان هذا يعتبر اهانة ·· ويكفى أن تنظر ناحيته وتجعله يشعر انك تريده بهزة من رأسك !!

واعترف اننى للحظة شعرت وكأن أمريكا تقول لنا أنا انسان متحضر وانتم متخلفون ··وعبرت عن هذا فقالت لى زميلتى « لا تنسى أن هناك أناسا هذه هى المرة الأولى التى يخرجون فيها من أوطانهم » ·· قلت وأمريكا تخشى عليهم من الصدمة الحضارية بدءا من ايقاف تاكسى حتى اطلاق صاروخ فضاء ·· أليس كذلك ؟!

لكننى حتى أكون موضوعية ·· اعترف اننى شعرت بانبهار بالفكرة نفسها ·· فكرة وجود مكان مهمته تعريف الزائر بالمجتمع ·· والغريب أن من يعملون فى هذا المكان متطوعون ·· أى يعملون بدون أجر ·· وأقول الغريب ·· لأن فكرة التطوع نفسها تحتاج الى انتماء شديد ·· فكيف يوجد هذا الانتماء لكيان غير مكتمل ·· خليط ·· ليست له جذور ·· اسمه أمريكا ·· مازالت بداخله أحاسيس الانتماء للأوطان الأم التى تشكلت منها هذه الأمة الخليط ·· بينما نحن لا نكف عن التغنى بحب بلادنا ومع ذلك فان حجم مثل هذا العمل التطوعى عندنا مازال محدودا جدا ·· بل نادرا ·· وخاصة أننى عرفت أن المكان نفسه وهو المريديان هاوس وهو من أشهر المبانى فى واشنطن من ناحية الطراز المعمارى هدية من أحد الأغنياء ·· كان منزلا يقيم به ثم منحه هبة ليؤدى هذا

الدور ·· بل ان الكثير من الابنية العامة فىأمريكا وأبنية الجامعات بل جامعات باكملها ·· تحمل اسم شخص أو اشخاص قاموا ببنائها والتبرع بها ·· بالطبع من الطبيعى أن اتساءل لماذا يفعل أغنياء أمريكا هذا ولا يفعله اغنياؤنا !!

ثم بدأت أمريكا تقدم لنا نفسها فى السوبر ماركت ·· كيف تشترى منه ·· السر وراء لعبة الأسعار ·· لماذا تزيد علبة الأرز عشرين سنتا عن مثيلتها ·· أن السر يكمن فى أن احداهما من انتاج الشركة صاحبة السوبر ماركت ·· وضرورة أن نلاحظ هذه الفروق فى الأسعار ·· اذا كنا ننوى المحافظة على دولاراتنا !

انها محاولة لحقن هذا الجسد بك ·· حتى لا يلفظك لكنك مع هذا قد تقبع فيه ·· أو تصطدم به ·· أو تختنق بداخله ·· حتى استعمال الاندر جراوند شرحوه لنا ·· كيف تحصل على التذكرة ·· أين تضعها لتفتح لك بوابة المرور ·· وكان أمريكا تقول لنا ·· هذه الف باء الحياة فيها !

جواز المرور الى الحياة هنا معرفتك كيف تتعامل مع الآلة ·· بدءا من بوابات السوبر ماركت الى بوابات الاندرجراوند ·· الى أن تعتاد حتى أن تأكل من الماكينات ·· تضع عمله لتخرج لك علبة زبادى ·· أو ساندوتش ·· أو كوب قهوة ·· بل انك حتى تصل الى أن تلعب مع الآلة !

ثم تبدأ أمريكا فى تقديم شعبها الينا ·· وكلمة شعبها هنا تستخدم مجازا ·· فهى فى الحقيقة تقدم الجنسيات التى تعيش فيها ·· فهناك مهاجرون من أمريكا الجنوبية وهم نسبة كبيرة ويعيشون فى المدن الكبرى ·· وهناك مهاجرون من الكوبيين ·· والمكسيكيين الذين لا تهدأ منازعات أمريكا مع جارتها المكسيك بسبب تسللهم عبر الحدود هربا من أزمات المكسيك المتلاحقة ··

وهناك أيضا مهاجرون من آسيا ·· من اليابان والصين ·· فهناك حوالى ثمانية آلاف مهاجر آسـيوى يعيشـون فى أمريكـا معظمهم فى « سان فرانسسكو » ··

والغريب حقا ان هـذه الجنسيات لا تذوب تماما فيما يمكن ان يسمى الكيان الأمريكى ·· فالصينيون ـ مثلا ـ يلحقون أطفالهم بالمدارس الأمريكية فى الصباح والمدارس الصينية بعد الظهر ·· والصـينيون من أكثر الجنسـيات الآسـيوية تواجدا فى أمريكـا ويتفوقون فى عددهم على اليابنيين · انه مجتمع خليط من كل شىء ·· الأصل واللون والديانة والعقيدة والفكر ·· وكل جزء من هذا الخليط مازال يتعصب لأصله ·· فاذا تابعنا مثلا حركة التبنى هنا سنكتشـف أن اليهودى يريد تبنى طفل يهودى ·· والكـاثوليكى يريده كاثوليكيا ·· والأسود يريده أسود ·· وربما الاسـتثناء الوحيد لذى حدث أخيرا ·· هو أن هناك بعض العائلات الأمريكية البيضاء تبنت طفلا فيتناميا !!

أما الأمريكيون الهنود ·· أو الوحيـدون الـذين يمكن أن يطلق عليهم بحق أمريكيين فى هـذا العالم الخليط ·· فقد ظلوا اقل فئة فى الحظ فى أمريكا رغم أنهم الأصـل ·· لكن عـددهم لا يتعدى ١٫٤٠ مليون هندى ·· وقد ترك الأمريكـان البيض لهم أراضى عديمة الأهمية ، لكن القدر لعب لعبته ·· ليكتشفوا اليوم أن هـذه الأرض ذات قيمة كبرى بعد أن ظهر بها بترولا ·· !! وربما يعكس هـذا ظلا من القوة على الهندى الأحمر الذى انقرض تقريبا فى أمريكا اليوم ولم يعد يظهر الا على الشاشة البيضاء فى أفلام رعاة البقر !!

ونحن نطوف فى جولة حول واشنطن أصطحبتنا اليها احدى المتطوعات ·· قمنا بزيارة الكونجرس الأمريكى ·· ونحن نقترب من السلالم العريضة العديدة التى تقود الى مبنى الكونجرس ·· كان أعضاء الكونجرس يتواثبون فوق السلالم ·· جريا فى كل

جهة فقد سمع كل منهم فى مكتبه جرسا خاصا يعلن عن بدء الاقتراع والتصويت فى الموضوع المطروح · فأسرع كل منهم للأداد بصوته ·· ودخلنا القاعة الرئيسية وجلسنا فى الصفوف العليا صامتين نراقب ما يحدث ·· من هنا تحكم أمريكا ·· بل تحكم أحيانا مقدرات العالم · لهذا تحاول الأقليات فى أمريكا اثبات وجودها عن طريق دفع أفراد منهم ليصبحوا أعضاء فى الكونجرس ·· فهناك اليوم ثلاثة يابانيين أمريكيين و١٨ من السود أعضاء فى الكونجرس ··

وعندما تحكى لنا أمريكا عن السود ·· تتحدث باستفاضة عن ١١٪ من سكانها ٢٧٠٠ مليون أمريكى أسود ·· وقد استعان المركز باستاذة سوداء لتحدثنا عن السود فى أمريكا ·· وهى بالطبع لفتة ذكية ·· وقد كان مثيرا أن أسمعها تحكى كيف كانوا يشعرون فى الماضى كعبيد ·· وكيف تحولوا الآن الى مواطنين يتمتعون بكل الحقوق ·· تحدثت عن حساسية كونك أسود ·· ثم كيف تغير كل هذا ·· ورغم هذا ·· كانت المرارة تقطر من كلماتها ·· وكأنها تقول أن هذه الحساسية مازالت تقبع هناك فى الداخل ··

ثم تحدثت أمريكا عن قلبها ·· عن عواطفها ·· عندما تحب ·· عندما تكره ·· عندما تتزوج ··

الابن فى أمريكا لا يعرف خاله ·· فالكل يتحرك من ولاية الى ولاية بحثا عن فرصة عمل أفضل ·· ان عجينة هذا « الخليط » أخرجت مجتمعا جديدا فريدا فى علاقاته وعواطفه ·· مجتمع انخفض عدد الأطفال فيه ، انخفض عدد أبناء الأسرة ، اختارت عائلات الطبقة فوق المتوسطة والعليا عدم الانجاب تماما أو انجاب طفل واحد فقط ·· فالمجتمع ملىء بالمتع ·· ملىء بالطموحات ·· لدرجة تشعره فى لحظة أن الأطفال يشكلون عائقا أمام هذه المتع وهذا الطموح ·

انه مجتمع من الورق ·· كل شيء فيه من الورق تستعمله ثم تتخلص منه بالقائه فى أقرب سلة مهملات ·· أطباق من الورق ·· أكواب من الورق ·· بل حتى علاقات من الورق ·· اذا استعملت العلاقة واستنفدت أغراضها ·· تتخلص منها ·· تلقى بها فى سلة المهملات وتلتقط علاقة جديدة ، لذلك ارتفع معدل الطلاق الى نسبة واحدة من كل ثلاثة زيجات ·· والشباب فوق الثلاثين يعيشون سويا بلا زواج ·· حتى يستطيعون التخلص من العلاقة متى يريدون ·· اذا لم ترضهم أو اذا لم يجدوا فيها المتعــة التى يبحثون عنها ·· وهم يفضــلون الحيــاة بلا زواج حتى يكون التخلص من العلاقة فى سهولة التخلص من كوب من الورق ·· أما الزواج فأنه يجعل العلاقة تتحول الى كوب من زجاج يصعب التخلص منه الا بكسره ·· بالطــلاق ·· والطــلاق يكــلف كثيرا من الاجــراءات وكثيرا من الدولارات ··

قالت المحاضرة أن الشباب يعيشون سويا بلا زواج ·· وقد يعتقد الآباء أن هــذا فضيحة ·· لكن اذا كانوا الآن يعيشــون فى مكان والأبناء فى مكان آخر ·· فانهم لا يعرفون ماذا يفعل الأبناء ·· وحتى اذا عرفوا لا يستطيعون التحكم فيهم ·· لانها « فرى كانترى » أى بلاد حرة ·· وأنتم تتذكرون « باتريشيا هيرست » ·· لقد عاشت مع شاب ·· وهــذا يعنى انه يحدث فى كل الطبقات وليس للفقراء فقط ·

انها « فرى كانترى » الى حد الهوس ·· وأحيانا الى حــد التعقل الشديد والمسئولية بلا حدود ·· ولا وسط · فهنا شواطىء للعراة ·· ومعسكرات جماعية يشاركون فيها كل شيء حتى الجنس ·· ايمان لكل شيء ·· للخمــــر والماريجــوانا والتكنــولوجيا والتليفزيون ··

أمريكا ·· أمريكا خــليط ·· خــليط من الألوان والأفكــار والتيارات والعقائد والجنون والعقل ·· والسؤال : كيف استطاع هــذا الخــليط أن ينســجم ويخــرج فى النهــاية معزوفة مــدنية رائعة ·· ؟؟

ربما السبب الوحيد انها « فرى كانترى » أفعل ما تشاء ولكن نظام العمل والانتاج مستمر ·· أفعل ما تشاء فهى « فرى كانترى » ·· تستطيع أن تفعل ما تريد دون أن يمنعك أحد أو يناقشك أحـد أو حتى يندهش أحد ·· تستطيع أن ترتدى الشورت وقبعة البلاج فى السبعين ·· تستطيع أن تدخن المـارجوانا فى الحدائق العامة ·· تستطيع أن تحمل طفلاً غير شرعى فى الثالثة عشرة ·· تستطيع أن تلقى بنفسك من النافذة ·· تستطيع أن تمتهن تسلق ناطحـات السحاب ·· تسـتطيع أن تتخلص من كل شىء : زوجتك وعملك وأطفالك وتبدأ من جديد ·· تسـتطيع أن تفعل أى شىء ·· فهى « فرى كانترى » !!

انها حقا « فرى كانترى » ·· لقد آلمتنى قدمى بعـد أن سرنا طويلا من مبنى الكونجرس الى مكتبته الشهيرة ·· وكدت أبكى وأنا أحاول جاهدة الاستمرار فى السير ·· فقـالت لى المرافقـة الأمريكية « اخلعى حذاءك » قلت لها : « وكيف أسير » قالت ببساطة شديدة : حافية ·· لايهم ·· انها فرى كانترى ··. وخلعت حذائى ·· وسرت حافية اتطلع الى الصور النادرة ·· الى احدى صور حادث اغتيال ريجان ·· واتلفت حولى فى شك خوفا من أن يكون منظرى مثيرا للاستغراب أو السخرية ·· لكن أحدا لم ينظر الى ·· وبعد برهة شعرت بسعادة غامرة ، أمشى حافية على بلاط مكتبة الكونجرس البارد ·· ولكننى بعد لحظة ساءلت نفسى ·· أمريكا انها حقا « فرى كانترى » ·· ولكن ماذا سأفعل أنا فى هـذا المجتمع ·· أنا لست هنا فى زيارة لأقارب أو للسياحة فى الفنادق والمطاعم ·· أنا هنا لاحيا ·· لاتحول الى جـزء من هـذا الكيـان ·· لالتحم معه ·· لأعايشه ·· والأمر لن يكون مجرد السير حافية ·· انها فقط البداية ·· فماذا سيحدث ·· ماذا سـأفعل أنا هنا ·· ماذا تفعل بنت الطبقة المتوسطة المصرية ·· بكل تقاليد وعادات وافكار هـذه الطبقة فى هـذه « الفرى كانترى » ؟!

● ● ●

الخطر المتوقع
دائما فى الهايد بارك

-بطت من السيارة التى أقلتنى من مطار «شيكاغو» حتى مبنى « الانترناشيونل هاوس » أو البيت الدولى ٠٠ الذى سأقيم به ٠ وضعت حقيبتى على الأرض الحجرية وتلفت حولى ٠٠ مساحة خضراء عريضة تتوسط مجموعة من المبانى المتتالية بنيت على الطراز الكلاسيكي ٠٠ فجامعة شيكاغو من أقدم وأعرق جامعات أمريكا ٠٠

وعدت أنظر بامعان الى المبنى الذى أقف أمامه ٠٠ الى هذا المكان الذىسيصبح بعد لحظات قصيرة « بيتى » انه مبنى جميل ٠٠ مقسم الى أجنحة ٠٠ يعلوه برج على أحد جانبيه ٠٠ والأسقف منحدرة كأسقف الأكواخ ٠٠ حملت حقيبتى وصعدت السلالم الحجرية ودفعت الباب ٠٠ لأجد نفسى فى ردهة ضيقة جدا تتوسط الباب الخارجى وباب آخر ذى نوافذ زجاجية عريضة ٠٠ تماما كالباب الأول ٠٠لكنه مغلق ٠٠ لمحت زرا بجواره ٠٠ ضغطته ومن خلال الزجاج رأيت فتاة تجلس الى مكتب استقبال عريض ٠٠ هناك بعيدا فى المواجهة ٠٠ نظرت ناحية الباب وضغطت زرا عندها ٠٠ ووجدت الباب يفتح ٠٠ ودخلت لأصعد بضع سلالم ثم أتجه الى مكتب الاستقبال حيث تجلس الفتاة ٠٠ وفى لحظات

كانت الفتاة تتعامل معى ومع آخرين وقفوا يحملون حقائبهم مثلى ·· شبان وفتيات ·· تقدمت سيدة فى متوسط العمر سوداء ·· ذكرت للفتاة انها أوغندية ·· ثم جاء دورى ··

أخذت الفتاة اسمى ·· وأعطتنى ثلاثة مفاتيح ودوسيها مملوءا بالأوراق ·· قالت ان أحد المفاتيح ويحمل رقم « ٦٠٨ » هو مفتاح حجرتى وتقع فى الدور السادس وهذا هو رقمها ·· أما المفتاحان الآخران ·· فأحدهما للباب الذى يؤدى للجناح الذى به غرفتى ·· أما المفتاح الآخر فهو للباب الخارجى للمنزل الدولى حيث انه يغلق بعد الساعة الثانية ظهرا !!

قالت الفتاة اننا سنجد كل المعلومات التى نريدها عن نظام الحياة فى البيت الدولى وعن المنطقة كلها فى هذا الدوسيه الذى أعطت لكل منا واحدا منه ·· ثم قالت مؤكدة وهى تضغط على كلماتها محذرة ·· ان أهم شىء هو أن نحرص على اغلاق حجراتنا بالمفتاح حتى اذا ذهبنا الى الحمام ـ حيث أن الحمامات مشتركة فى كل دور ·· وان نتأكد من اغلاقها من الداخل ومن وضع السلسلة حول المقبض قبل أن نخلد الى النوم ·· وشعرت بمعنى كلمة عدم الأمان عندما تتحول الى شعور يندفع فى صدرى ويتساءل ·· من أين يأتى الخطر من خارج المبنى ·· واذا كان المبنى يغلق ·· هل يأتى الخطر من الداخل ·· أم أنه يستطيع أن يأتى من أى مكان ·· اذا أراد أن يأتى !!

لكننى حملت حقيبتى واتجهت الى حيث أشارت الفتاة ·· لأجد الباب الذى يؤدى الى الجناح الذى توجد به غرفتى ·· باب خشبى ذو نوافذ زجاجية حاولت فتحه ·· لكنه كان مغلقا ·· وتذكرت قصة المفاتيح الثلاثة ·· بحثت بينها حتى وجدت مفتاحه ودخلت لأجد مصعدا أقلنى للدور السادس ·· حيث وجدت غرفتى فى ممر طويل تتراص على جانبيه الحجرات ·· فتحت الباب ودخلت ··

احساس غريب أن يصبح لك مكان ·· خاص بك ·· وأنت وحدك ·· على أرض غريبة عنك ·· بعيدة عن أرضك ·· الغرفة صغيرة لكنها مجهزة لحياة الطلبة ·· على يسار الباب جزء كأنه غرفة صغيرة بداخل الغرفة ويستعمل كخزانة للملابس ·· وفى مواجهته جهاز تليفون أسود معلق على الحائط ·· وأتقدم الى الداخل ·· فى مواجهتى نافذة طويلة تكاد تكون بطول الحائط ·· يخترق زجاجها حديد أسود ·· وعن يمينى قطعة خشبية جزء منها عبارة عن تسريحة بجوارها عدة أرفف معلقة لتستخدم كمكتبة وأسفلها عدة أدراج لوضع الملابس والأدوات تنتهى بذراع ممتدة تعلوها لبة طويلة تستخدم كمكتب وموضوع أمامها كرسى ·· عن يسارى فراش صغير ذو جانب جلدى ·· يستعمل فى ساعات النهار « كنبة » ويتحول فى الليل الى فراش ·

وضعت حقيبتى ·· وجلست على حافة الفراش ·· داهمنى فجأة احساس بالغربة ·· ان هذه الكلمة التى نسمعها كثيرا وقد نسخر منها ·· تتحول فجأة الى احساس يجعلك تشعر وكأنك تسقط فى فراغ ·· فراغ عدم الألفة مع أى شىء حولك ·· السماء ·· الأرض ·· قطع الأثاث ·· البشر ·· انك لا تعرفها ولا تعرفك ·· قررت التغلب على هذا الاحساس ·· قمت أفتح حقائبى وأعلق ثيابى وأضع أوراقى وكتبى وأدواتى ·· وفى دقائق كانت حاجياتى متناثرة هنا وهناك ·· وكانت غربتى تتسرب شيئا فشيئا من صدرى ·· ويحتله بدلا منها شعور مثير اننى مقبلة على شىء جديد تماما ·· تجربة لم أمر بها من قبل ·· طالبة فى جامعة أمريكية تعيش فى بيت جامعى ··

***

فجأة أخرجتنى معدتى من كل هذا ، أخذت تصدر اشاراتها تنبهنى الى أننى يجب أن أبحث عن المطعم ·· ووقع نظرى على الدوسيه ·· فتحته لأجد عشرات النشرات عن كل شىء فى البيت الدولى والجامعة والمنطقة ·· المطاعم ·· المتاحف ·· المكتبات ··

محلات الشراء ‥ وظللت أبحث حتى وجدت المعلومات الخاصة بالمطعم الموجود فى البيت الدولى ‥ انهم يعطونك كل المعلومات المتصورة ثم يتركونك تتصرف ‥

ان الساعة الآن قد تخطت الخامسة بقليل والمطعم مفتوح لتقديم وجبة العشاء ‥ أبدلت ملابسى ونزلت أبحث عن المطعم ‥ دخلت ‥ حملت صينية ودرت أنتقى ما أريده من طعام ‥ ثم وقفت أمام فتاة زنجية تجلس أمام آلة حاسبة ‥ سألتنى اذا كنت مقيمة فى البيت الدولى . ولما أجبت بالايجاب طلبت بطاقة الاقامة وتذكرت البطاقة التى أعطتها لى فتاة الاستقبال مع المفاتيح وكنت قد وضعتها فى حقيبة يدى ونسيتها تماما ‥ أخرجتها لأكتشف ان بطاقة الاقامة هذه تعنى أن أدفع نصف ثمن ما أخذت من طعام ‥ وشعرت ببعض الراحة ‥ فهذا يعنى أن ما معى من دولارات يمكن أن يكفينى اذا أخضعته لميزانية مدروسة ‥ وبالطبع اختفت أحلام هذه الميزانية بعد أيام قليلة .

حملت صينيتى ودخلت الى حيث توجد الموائد ملتفة حولها المقاعد ‥ تلفت حولى ‥ طالعتنى الوجوه ‥ تفحصتنى العيون ‥ انها لحظة ظهور وجه غريب فى البيت الدولى ‥ ساكن جديد منضم الى العائلة الكبيرة ‥ اعترانى شعور بالارتباك والحيرة ‥ أين أجلس ‥ واجأت الى مائدة بجوار النافذة وضعت الصينية وجلست لأكل ‥ التقط ملعقة ثم أنظر حولى لأراقب هؤلاء الجالسين ‥ مختلف الوجوه والأعمار والجنسيات ‥ بعضهم مضى عليه هنا سنوات وبعضهم سيقضى هنا سنوات قادمة ‥ والبعض مثلى — سيعيش بضعة أشهر ثم يرحل ‥ بعضهم ينهى دراساته العليا ‥ وبعضهم يحضر دورة دراسية صيفية ‥ بعضهم قادم من بعيد ‥ من الشرق من آسيا ‥ من أمريكا اللاتينية ‥ من أوربا ‥ وبعضهم جاء من ولايات أمريكا العديدة ‥ ويتحول الكل الى سكان لهذا البيت ‥

يتقاسمون كل شيء ـ موائد الطعام ٠٠ الموسيقى ٠٠ والرقص ٠٠ فى الحفلات التى تقام فى صالة الحفلات الكبرى ٠٠ الحديث والمناقشة فى البهو العريض الذى تتناثر فيه المقاعد ٠٠ القراءة فى المكتبة الصغيرة ٠٠ مشاهدة التليفزيون فى الحجرة المخصصة لذلك وأمام شاشة عريضة وضعت بجوار التليفزيون لتتيح الرؤية للجميع ٠٠ مشاهدة السينما ٠٠ عندما تتحول قاعة الاحتفالات الى دار للعرض ٠٠ يتقاسمون الأكل فى الآلات فى حجرة الآلات اذا ما فاتهم الأكل داخل المطعم وأغلق تماما ٠٠ آلات للقهوة واللبن والساندوتشات والسجائر والمشروبات الغازية ٠٠ يتقاسمون اللعب مع آلات الفليبرز ٠٠ تلعب أنت والآلة ٠٠ تهزمها أو تهزمك ٠٠ تكسب فتصرخ فرحا ٠٠ تخسر فتركلها بشدة ولا تجيبك سوى بألم شديد فى قدمك ٠٠يتقاسمون اللهفة على خطابات الأهل أمام صناديق البوستة العديدة المتراصة والتى يحمل كل منها رقم غرفة كل منهم يتقاسمون كل شيء فى هذا البيت ٠٠ ويتحول هذا البيت الى مسرح لقصصهم وأحلامهم ورغباتهم وعبثهم ٠

استغرقتنى أفكارى ٠٠ واستغرقنى تناول الطعام حتى أفقت على حركة بالقرب منى رفعت رأسى لأجد شابا يضع صينية على المائدة ويسحب كرسيا ويجلس وهو يقول ببساطة وعفوية « هاى » ٠٠ قدم نفسه بنفس البساطة قائلا ٠٠ أنا بول ٠٠ ونظر الى منتظرا أن أكمل التعارف ٠٠ تمتمت باسمى ٠٠ ادعيت الانشغال بطعامى وأنا أسائل نفسى هل من الطبيعى هنا أن يجلس شخص معك ويقدم نفسه ويتعارف بمثل هذه البساطة ٠٠ ربما ٠٠ لو حدث هذا الموقف فى بلدنا لتحول فى ثوان الى مشاجرة ٠٠ وعلى العموم أن الأمور فى بلدنا لا تعرف هذه البساطة ٠٠ فلا الشاب يتصرف ببساطة ولا البنت أيضا ٠٠ وقاموس المشاعر والعواطف والصداقة عندنا ملىء بمئات التحذيرات والتعقيدات وبند العيب لا ينتهى ٠٠ ولكن من على صواب نحن أم هم ؟ سؤال ظل يشغل ذهنى طوال اقامتى هنا فى « الفرى كانترى » ٠ وأفقت على صوت الشاب

يسألنى من أى بلد أنا ·· وانتقل الحديث الى الدراسة التى جئت من أجلها ··

★★★

حملت « فوطة » وجهى وأغلقت باب غرفتى بالمفتاح واتجهت الى الحمام ·· أحواض عديدة متراصة ·· خلفها أماكن للاستحمام يفصلها عن بعضها جدار حجرى وتفصلها عن الحمام ستائر بيضاء ·· الظلام يلف المكان فى الممر ·· والضوء فى الحمام يشعرك بعمق الظلام فى الخارج ·· أشعر بغربة ورهبة ·· فتحت الصنبور وانحنيت أغسل وجهى ، سمعت صوت أقدام تقترب ، رفعت وجهى رغما عنى دون أن أنتهى من غسله ·· رأيت شيئا أسود ملفوفا فى بياض ·· بوغت ·· أسرعت دقات قلبى ·· وجاءنى الصوت « جود ايفننج » !!

أجبت بصوت مختنق ومازلت ألهث كانت السيدة الأوغندية التى كانت تقف بجوارى عند مكتب الاستقبال فى الصباح ·· كانت تضع فوطة بيضاء على رأسها وتلف جسدها بفوطة بيضاء أخرى ·· دلفت الى واحد من أماكن الاستحمام وأزاحت الستارة واختفت وراءها ·· وعجبت من هذه الرهبة التى تملكتنى منذ الصباح منذ أن حصلت على كل هذه الفاتيح وكل هذه التحذيرات ·· شىء مختلف تماما أن تسمع عن شىء وأن تعيش فيه ·· لقد قرأت مئات المرات عن الأمان فى أمريكا ·· عن الجرائم ·· عن السرقة والخطف والاغتصاب ، لكن الأمر الآن لم يعد قراءة ·· لقد تحول الى دقات قلب تعلو من مجرد توهم الخطر ·· أى خطر ··

عدت الى حجرتى ·· أغلقت الباب و « سمكرته » ووضعت السلسلة حول المقبض ·· ونمت فى فراشى والنافذة الطويلة بحديدها الأسود تواجهنى ، ووراءها سماء تبدو مختلفة تماما عن سماء بلدى ·· ان النوم فى الليلة الأولى فى مكان جديد فى بلد غريبة عنك يصيبك بحالة هلامية لا تستطيع معها أن تمسك بأفكارك

أو تمسك بالنوم ٠٠ وحـاولت أن أجبر نفسى على النوم فعلى أن أستيقظ مبكرة فى الصباح ٠٠ وتسـلل النوم الى تدريجيـا حتى استولى على تماما ٠٠

وفجأة أفقت فى صحوة مفاجئة كأن شيئا قد هزنى بعنف ٠٠ وجدت نفسى جالسة فى فراشى وقد اسـتولى على خاطر اننى لم أغلق الباب جيدا واننى نسيت أن أضع السلسلة ٠٠ قفزت من الفراش ٠٠ بحثت عن زر النور ٠٠ أضاء النور الحجرة ٠٠ وجدت الباب مغلقا والسلسلة حول المقبض ٠٠ أغلقت النور وعدت الى الفراش ٠٠ حاولت أن أغلق عينى ٠٠ لكن فجأة شق الصمت صوت سيارة البوليس وهى تجوب المنطقة بأصـواتها التقليدية معلنة وقوع حادث ٠٠ وحاولت النوم ٠٠ وقد اعتدت بعد هـذا أن أنام على شيئين ٠٠ صوت سيارة البوليس ٠٠ واحتلال رأسى بخاطر واحد هو أننى لم أغلق الباب ولم أضع السلسلة !!

★★★

فى الصباح كنت أدخل مركز دراسات الأسرة والجماعة الذى سوف اتلقى فيه الدراسة لمدة شهرين ٠٠ جلست فى حجرة المحاضرات ٠٠ تلفت حولى ٠٠ شاهدت السيدة الأوغندية التى رأيتها فى المساء تجلس خلفى ٠٠ وفى الناحية الأخرى كانت تجلس سيدة شابة أخرى لمحتها بالأمس فى نهـاية الممـــر الذى تقع به غرفتى فى البيت الدولى ٠٠ بعض الوجوه الأخرى لمحتها بالأمس فى المطعم والبعض أراه لأول مرة ٠٠ مختلف الوجوه والجنسيات والأعمار ٠٠كل منا ينظر الى الآخر فى فضول ٠٠ وبدأت اجراءات تحويلنا الى طلبـة فى هـذا المركز وهـذه الجـامعة ٠٠ وزعت علينا « كومة » من الاستمارات ٠٠ كان علينا أن نملأها ٠٠ بها كل المعلومات التى لا يمكن أن يخطر على بالنا أن أحدا يريد أن يعرفها عنا ٠٠ كل شىء ٠٠ تاريخ حياتنا ٠٠ تاريخ حياة مهنتنا ٠٠ تاريخ حياة صحتنا ٠٠ منها أشياء يصعب أو يستحيل تذكرها مثل الأمراض التى أصبنا بها فى طفولتنا ٠٠

وطلب من كل منا أن يقدم نفسه ·· لاكتشف اننا لسـنا فقط خليطا من الجنسيات ·· لكننا أيضا خليط من المهن ·· طبيب من أوغندا ·· مذيعة من هايتى فى أمريكا الجنوبيـة ·· طبيبة من السودان ·· مخرج من تليفزيون السلفادور ·· باحثة اجتماعية من اليونان ·· مسئولة عن الشباب فى جامايكا ·· ومسئول عن تنظيم الأسرة من الهنـد ٣٧ مشـترك من ٢٠ دولة ·· جـاءوا من أنحاء العالم ليبحثوا عن حل لمشـكلة طفل يأتى الى مجتمع لا يريده !!

ثم جاء دور هيئة التدريس لتقدم نفسها الينا ·· وعنـدما وقفت « ايمى تشويى » أستاذة السـكان فى المركز وهى صـينية لتقدم نفسها لنا قالت أن لديها شيئا هاما تريد ان تقوله لنا ·· والتفتت ترسم على السبورة مربعا قالت انه يمثل المنطقـة التى تحتلها الجامعة والتى تقع فى حى (هايدبارك) وقد كان هـذا الحى من أفضل أحياء شيكاغو ·· لكنه تحول الآن ليصبح أخطرها على الاطلاق والسبب كما قالت « جيرانها » وتقصد بذلك « السود » الذين ظلوا ينتشرون تدريجيا حتى احتلوا معظم المنطقة ·· ولذلك قالت وهى تضع أصبعها على الضلع الأعلى فى المربع الذى رسمته ·

لا تتحركوا فى هـذا الاتجـاه خـارج هـذا الخط ·· ثم انخفضت الى الضلع الأسفل قائلة ·· ولا خارج هـذا الخط ·· ثم مشيرة الى الضلع الثالث ولا خارج هـذا الخط أيضا ثم مشيرة الى الضلع الأخير وفى هـذا الاتجاه وخارج هـذا الخط لا تبتعدوا أكثـر من ثـلاثة شـوارع بالتحـديد ·· ثم لا تخطـو ولا خطوة واحدة ·· !! وليت الأمر وقف عنـد هذا ·· فقد استكملت قائلة أيضا لا تسيروا منفردين ·· وخاصة فى الليل ولا حتى داخل هـذا المربع الذى يشمل أبنيه الجامعة ·· يجب أن تسيروا فى مجموعات · قلنا أن الأمر يبدو وكأننا فى سجن ·· قالت : تستطيعون الخروج ولكن فى جماعات ·· لا تذهبوا الى المناطق الخطرة ·· وخـذوا حذركم ولن يحـدث لكم شىء · لقد عشـت هنا عشرين عـاما ولم يحد ثلى شىء · لكن يمكنكم هنا أن تعيشوا سنوات دون أن يحدث لكم شىء · ويمكن أن يحدث لكم هـذا الشىء بعد دقيقة واحدة من وصولكم !!

بعدها جاءت السيدة « جارسيا » وهى المسئولة عن الادارة بالمركز وقالت اننا يجب أن نذهب فورا الى بنك الجامعة ليفتح كل منا حسابا يضع فيه كل نقوده ‥ فلا يجب أن نسير ومعنا اكثر من عشرين دولارا !!

عندما وصلت الى البيت الدولى ‥ مررت أمام صناديق البوسطة ‥ لمحت شيئا فى صندوقى لا يمكن أن يكون خطابا ‥ فلم يمر على سوى يومين هنا ولا يعرف أحد عنوانى بعد ‥ فتحت الصندوق لأجد نشرة مطبوعة تحت عنوان « كومن سنس » . أو ما يمكن أن نسميه نحن بالبلدى « مفهومية » أخذت أقرأ النشرة وأنا فى طريقى الى غرفتى ‥ وبعد بضعة أسطر كنت أشعر باحساس المطارد من خطر لا يعرفه ‥ فالنشرة ليست سوى كمية هائلة من التحذيرات ‥ وبها أيضا ما يمكن أن تفعله ليتم انقاذك ‥ رقم قسم البوليس الذى يعمل ٢٤ ساعة ‥ كيف أنه يمكنك أن تتصل بالقسم وتحدد لهم مكانك واتجاهك فى منطقة الهايدبارك ‥ ليرسلوا لك سيارة أمن تسير وراءك وتراقبك وأنت سائر حتى تصل .

والغريب أن التعليمات تقول انك اذا استعنت باحدى هذه السيارات عليك تجنب السير فى الطريق الخطأ ‥

تقول لك النشرة أيضا أن هناك اكثر من مائة تليفون طوارىء أبيض موضوعة فى أنحاء مختلفة فى منطقة الهايدبارك وحيث من المتوقع أن يسير الطلبة والأساتذة وبمجرد أن تجذب سماعة احدى هذه التليفونات سوف تلقى المساعدة ‥ وتنهمر التحذيرات ‥ كن على حذر ‥ أنظر أمامك وخلفك بالتناوب ‥ أحرص على السير فى الشوارع الكبرى ‥ لا تمر من الحدائق ‥ لا تسر

بمفردك ليلا ·· لا تقبل مساعدة من غريب ·· اذا شعرت أن احدا يتبعك أعبر الطريق ·· أو سر فى الاتجاه المضاد ·· أو ادخل مكانا عاما ·· أو أطلب البوليس ؟ !

اذا عدت الى المنطقة بالمواصلات العامة كالقطار أو الأتوبيس يمكنك أن تتصل بالأمن فى المنطقة قبل أن تستقل المواصلة وسوف تجد سيارة أمن فى انتظارك عند المحطة لتحرسك حتى تصل الى المكان الذى تريده فى « الهايدبارك » ··

★★★

وحبست أنفاسى · أين أنا ·· انها ليست جامعة ·· انها منطقة للرعب الحى تليفونات بيضاء رقيقة لتصرخ فيها ·· سيارات أنيقة تلاحقك لتجدك فى أحد الشوارع المحيطة مقطوع الأنفاس متجمدا رعبا ، شوارع جميلة هادئة نظيفة مملوءة بالمساحات الخضراء لكن عليك أن تترك هذا كله وتتناوب النظر أمامك والنظر خلفك ·· حتى لا يفاجئك الخطر المتوقع دائما فى الهايدبارك !!

● ● ●

رينيه ..
فى
شقة مع أربعة شبان !

احساس غريب أن تعيش فى عالم ليس به سوى شباب ٠٠
انه عالم البيت الدولى كل من يعيش فيه شباب ٠٠ طموح ٠٠
مندفع ٠ منفعل ٠٠ يائس ٠٠ غاضب يغلى بالحياة ويفور لكنه
دوما يدهشنى ربما لاننا نحن تطحننا الحياة ٠٠ تأكل كل فوراننا ٠٠
طموحنا ٠٠ انطلاقنا ٠٠ انفعالنا ٠٠ لنصبح أكثر تطويعا
٠٠ أكثر تهذيبا ٠٠ أكثر ضغطا ٠٠ أكثر استئناسا ٠٠ وكأننا قد
أصبحنا كبارا !

فى الصباح أنطلق فى طريقى الى المركز أحمل كتبى وأوراقى
وأحرص على ألا أتأخر فالساعة تقترب من التاسعة والمحاضرة
على وشك أن تبدأ ٠٠ احساس غريب يغلف نفسى ٠٠ احساس
بالتحرر ٠٠ بالخفية ٠٠

التحرر من أن أحدا يراقبك ٠٠ يحاسبك ٠٠ ينقدك ٠٠ يعد
عليك حركاتك ٠٠ أسير لأستقبل الصباح ٠٠ لا أحد يهتم بى وبما
أفعل ٠٠ وكأن هذا العالم كله ملكى ٠٠ ولا عجب فى انهم يقولون
عنها « بلاد حرة » (فرى كانترى) ٠٠ ولا عجب فى أنهم جعلوا
تمثال الحرية رمزا لها ٠٠ أحمل فى يدى كوب شاى دافىء لم
يسعفنى الوقت للانتهاء منه على الافطار وأعبر به الشارع ٠

وصيف شيكاغو تكسوه لمسة باردة واحساس بالبكارة يكسو كل شيء حتى مشاعرى وكان كل شيء يولد فى هــذه اللحظة فقط ·

★★★

بعد يوم مشحون بالعمل ·· كانت الساعة التاسعة مساء عندما خرجنا نجر أقدامنا وأجسادنا ·· واقتربت منى « هاريش » ·· وهى زميلة لى فى الدورة ·· فتاة يونانية تخطت الثلاثين بسنوات قليلة ، متزوجة ولها طفل واحد ·· تركتهما وراءها فى أثينا وتركت معهما عملها فى مركز البحوث الاجتماعية ··

قالت لى : ماذا ستفعلين الآن ؟

قلت : اننى أريد أن أفعل أى شيء ، فاننى أشعر بالانهــاك والاختناق بعد كل هــذا العمل ·

قالت : ما رأيك فى الذهاب للاستحمام ·

قلت : استحمام فى التاسعة مساء ؟ !

قالت : نعم ·· فهو حمام سباحة مغلق ، انه هناك فى هــذا المبنى · وأشارت الى أحد مبانى الجامعة ·

وفى دقائق كنا نجرى الى البيت الدولى ونصعد الى غرفنا لنبدل ملابسنا ونحضر أثواب استحمامنا ·· لنلتقى فى البهو ·· فقالت لى « هاريش » : انتظرى ·· ان رينيه قادمة ··

وجاءت « رينيه » ·· وكانت هــذه هى المرة الأولى التى ألتقى فيها بهــا ·· وفى الطــريق ونحن نعبر تحت الأشــجار والظلام يلفنا ·· عرفت أن « رينيه » يهودية من أصل ألمــانى ·· هــاجر أبواها من ألمــانيا وجاءا الى الولايات المتحدة الأمريكية ·· ويعيشان

الآن فى نيويورك ، وتعيش رينيه هنا فى البيت الدولى وتعمل فى مكتب محاماة فى المدينة وتستكمل دراستها فى القانون بالجامعة ·· تتحدث بحماس عن خططها فى المستقبل ·· وتنقل أخبار السياسه وكأنها تنقل أخبارا عاطفية :

ـ « شفتى اللى حصل فى لبنان »

و « رينيه » هى اليهودية الوحيدة التى رأيتها هنا تناقش ما تفعله اسرائيل وتنقده وتسخر منه ·

قالت لى : « بيجين بيقول انه لازم يقتل عرفات ·· تصورى » !

وعرفت أن رينيه مختلفة عندما عرفت كثيرا من اليهود هنا وهم كثيرون فى جامعة شيكاغو بالذات ووجدت انهم جميعا يتحدثون بنفس الطريقة ونفس المنطق ·· بل ونفس الكلام وكأنك وضعت بداخلهم شريط كاسيت وضغطت على الزرار !!

وبنفس حماس « رينيه » فى السياسة تتحدث « هارش » عن خططها للاستمتاع ، ونمضى فى طريقنا الى المبنى حيث يوجد حمام السباحة وندخل لنبرز البطاقات التى تثبت أننا طالبات فى جامعة شيكاغو · ويكفى أن تبرز هذه البطاقة لتستمتع بكل شىء فى الجامعة ·· حمامات السباحة ·· الملاعب ··

ودخلنا ، وقد حصلت كل منا على مفتاح « كابينة » أبدلت فيها ملابسها ووضعت فيها حاجياتها ·· وانطلقنا لنلقى بانفسنا فى مياه الحمام الباردة بعد يوم حار قرر فيه صيف شيكاغو أن يذيقنا الحرارة قليلا ·· وصيف شيكاغو ليس له مبدأ ·· كل لحظة بحال ·· يوم صيف ويوم شتاء ويوم ربيع ويوم خريف ·· وأحيانا الأربعة فى يوم واحد !

واستقبلتنا مياه الحمام الباردة وأضواء اللمبات الكهربائية تنعكس على صفحتها وأخرجت « هاريش » رأسها بعد غطس سريع لتقول بنفس اللهفة التى لا تفارقها أبدا :

ـ « تعالوا نروح بكرة حفلة الموسيقى فيه اعلان فى الهول شفتوه » ..

و « هاريش » لا تترك اعلانا مما يوضع فى « الهول » أو بهو البيت الدولى وهو دائما ملىء بالاعلانات عن الحفلات الراقصة والحفلات الموسيقية وأفلام السينما والفيديو والرحلات التى تنظمها ادارة البيت الدولى والتى تنظمها الجامعة .. الا وتقرر أن نذهب الى كل هـذه الحفلات والأفلام والرحلات حتى لو كانت كلها سوف تقام فى ليلة واحدة .

قلت اجيبها . أن النشرة الجوية تقول أن السماء ستمطر غدا فكيف نذهب الى حفل موسيقى فى الخلاء والسماء تمطر ؟!

قالت ببساطة : وماله نأخذ الشماسى

قلت : اننى لا أستطيع الاستماع الى الموسيقى وأنا غارقة فى مياه الأمطار حتى لو كان الذى يعزف بيتهوفن نفسه !

وغطست وتركتها .. فانا أعرف انها ستظل تلح وتلح دون أن تكل أو تتعب . لقد جاءت « هاريش » الى أمريكا وفى رأسها حلم الاستمتاع بكل لحظة من لحظات اقامتها هنا .. جاءت وفى رأسها حلم أن تعوض كل لحظات الاستمتاع التى تفقدها ما بين العمل والبيت والزوج والطفل .. وقد تحول هـذا الحلم الى كابوس يطاردها فى كل لحظة بانها لا تستمتع كما يجب .. وهى لا تكتفى بأية لحظة استمتاع لانها تكون مشغولة بالتفكير فى كيفية الاستمتاع باللحظة التى تليها .. ان اليونان هى عتبة أوروبا و « هاريش »

خليط من تقاليد الشرق وحرية الغرب ·· خليط متوتر مشوش غير مستقر ·· وقد اكتشفت بعد أيام أن هـذا الخليط المتوتر يظهر اكثر ما يظهر فى علاقتها مع الشبان هنا ·

وخرجنا الى الشارع مرة أخرى ·· وكان الجو قد قرر أن ينقلب الى خريف ·· كان الهواء مشبعا برطوبة شـديدة ولمسـة باردة ، وكانت السماء تمطر ·· وأسرعنا ناحيـة البيت الدولى ونحن نفرد الشماسى ونرتدى معاطف المطر ·· فبدلا من أن تستحم وتخرج فتلقاك الشمس ·· تخرج ليلقاك المطر والظلام والبرودة ·· لكنه احساس ممتع أن تشعر انك تفعل ما تريد ·· فى الوقت الذى تريد ، دون حاجة الى استئذان ودون أسوار الاعتراضات والموانع غير المنطقية وخاصة اذا كان مـا تريد أن تفعـله ليس أكثر من الاستمتاع بالحياة حولك

★★★

كنت أراقب « رينيه » وأشـعر انهـا تملك حق القـرار فى حياتها ·· فهى تعيش بمفردها هنا ولا يحركها سوى رأسها ·· جاءت يوما تقول لى : « لقد حادثنى أخى بالتليفون اليوم ·· انه يقيم فى كاليفورنيا ·· لقد دعانى الى زيارته ·· انه متزوج وله ولدان ·· هل تتصورى اننى لم أر ولديه حتى الآن » !

صمتت برهة ثم قالت : « أعتقد اننى يجب ان ألبى دعوته وأذهب مرة الى زيارته ورؤية أطفاله » ·

وفكرت اننا فى بلدنا أكثر تقاربا من هـذا ·· ربما قل هـذا التقارب الآن قليلا عما كان ·· لكنه مازال موجودا على أى حال ·· لكننا أيضا ندفع ثمنه ·· فهـذا التقارب لا يجعلك ـ ابدا ـ صاحب القرار فى حياتك ·· فأنت عندما تتخذ قرارا يتخذه معك الأهل والأقارب والأصدقاء وربما الجيران أيضا ·· واذا كانت « رينيه »

تفتقد هـذا التقارب وهـذا الدفء فى العلاقات فانها تحصـل فى مقابله على حرية كاملة فى اتخاذ القرار فى حياتها ٠٠ أى قرار !

★★★

كنت أجلس الى احدى الموائد فى البهو اكتب بعض المواد الاذاعية التى طلب منا اعدادها ٠٠ عندما وجدت « رينيه » تقترب وعلى وجهها ابتسامة عريضة ٠٠ سحبت كرسيا وجلست وهى تقول : « شفتى آخر نكتة ٠٠ بيجن أعلن موافقته على السـماح للفلسطينيين بدخول اسرائيل اذا لم تقبلهم الدول العربية » !

وضحكت وهى تضرب كفا بكف من غرابة ما يحدث حولنا فى العالم ٠٠ وغرابة اللعبة التى تلعبها اسرائيل ٠٠ وضحكت أنا أيضا لأن « رينيه » لا تتغير ٠٠ فهى تعود كل يوم من العمل لتلقى لنا بخير سياسى بطريقتها ، وازحت الأوراق والقلم جانبا ٠٠ فأنا أعرف اننى لن أعود لهما الا بعد فترة طويلة ٠

فاذا استبد الحمـاس برينيه فلا شىء يوقفهـا ٠٠ اندفعت تقول : « عندى خبر مهم سوف أسافر الى اليونان ثم الى تركيا ثم الى اسرائيل حيث سأعمل لفترة فى احدى المسـتعمرات ٠٠ لقد اتفقت مع سيدة لها أعمـال فى المنطقـة ٠٠ سوف يفيدنى هـذا كثيرا ٠٠ وسوف أذهب الى مصر ٠٠ لا تنسى أن تعطينى عنوانك »٠٠ واندفعت « رينيه » تصف لى شعورها وكيف ستستفيد من مثل هـذه الرحلة ، وأنها تواقة الى أن ترى كيف تسير الحياة في دول المنطقة وبالذات فى اسرائيل وكيف يعيش الناس هناك فى ظل مثل هـذا النظام الحاكم ٠

انها كعادتها تخلط كل شىء بالسياسة ٠٠ لكننى كنت سارحة فى شىء آخر ٠٠ ان « رينيه » فتاة تستكمل دراستها العليا وتعمل وتهتم بالسياسة وتسافر لتكتشـف الحيـاة فى مختـلف انحـاء العالم ٠٠ كم تبدو الحياة عريضة أمامها بينمـا أى بنت عنـدنا

تترك لها فرصة التعليم ثم تصبح الحياة ضيقة شـديدة الضـيق محصورة فى فكرة الزواج ·· ويكون العمل فى حياتها اما اكسسوار أو مصدرا للرزق ·· وبالطبع لا مجـال للثقـافة أو السياسة أو الاسـتمتاع أو اكتشـاف العالم ·· وافقت على « رينيه » وهى مازالت تتحدث ·· وشغلنى خـاطر ··· اننى لم أر لرينيـه أى علاقة عاطفية منذ التقيت بها ·· رغم اننى عرفت أن بقاءك بدون علاقة داخل هـذا المجتمع الشـاب فى البيت الـدولى شىء غير طبيعى ·· بل شىء صعب ان تفعله ·· فالكل هنا يشعرون بالغربة والاحتياج وتصبح العلاقة العاطفية هى الملاذ ·

لكننى لم أر لرينيه أى علاقة ·· وفى احدى المرات عرضت على « رينيه » أن أزور غرفتها وهى تقع فى نفس الدور الذى تقع به غرفتى ·· فتحت الباب ودخلت وراءها وشعرت بالدفء فى هـذه الغرفة مقارنة بغرفتى دفء الاقامة فى المكان لمدة طويلة ·· دفء وجود لوحة على الحائط ·· وسجادة على الأرض · وجهاز راديو ·· واكتشفت أن هناك « حوض » فى غرفة « رينيه » وهو امتياز هام فى البيت الدولى ·· جلسنا نتحدث ·· تحدثت كثيرا عن والديها ·· ثم تفرع بنا الحديث فأرتنى صورتين لشابين قالت انها كانت لها علاقة عاطفية بكل منهمـا ·· لكن كلتـا العلاقتين انتهتا دون أن تدرى سببا لهـذا الانتهاء ·· سألتنى هل أعتقد انها هى السبب ·· قلت فى مثل هـذه الأشياء لا تبحث عن السبب يكفى انها انتهت هزت رأسها ثم اندفعت تحكى لى كيف قابلت شابا ايطاليا عندما كانت فى أوروبا منذ عامين وانها عرفته لمدة أربعة أيام فقط ·· لكنها منذ هـذه اللحظة لم تشعر مع أى شاب بمثل ما شعرت به معه ولذلك فهى ليست على علاقة بأى شاب ·· ولقد ظلت هى و« جيوفانى » ــ وهو اسم الشاب الايطالى ــ يتراسلان أحيانا وينقطعان عن المراسلة فترات ·· وفى الفترة الأخيرة مضى وقت طويل منذ أرسل لها آخر خطاب وكان هـذا يقلقها ·· حتى اننى مازحتها ضاحكة « كل هـذا من أجل أربعة أيام » ·· قالت « نعم ·· قد يكون هـذا غريبا ·· لكنها الحقيقة » ·

قلت لرينيه أن حجرتها جميلة ·· قالت « ان الاقامة هنا لمدة طويلة تجعلك تحاولين تجميل المكـان بأى وسـيلة ·· لكننى لن استمر فى الاقامة هنا ·· سوف انتقل للاقامة فى شقة ·· لقـد وجدت شقة هنا فى الهايدبارك حتى لا أكون بعيدة عن الجـامعة وسوف اقيم فيها مع اربعة من أصدقائى » ·· قلت « أربع فتيات » · قالت « لا بل شبان » قلت بدهشة « سـتقيمين بمفردك مع أربعـة شبان » قالت ببساطة ·· « نعم ·· أن كلا منهم لا يعرف الآخر ·· لكنهم جميعا أصدقاء لى ·· سوف تكون مجموعة ظريفة ·· لكن ما يقلقنى هو أننى سأضطر أن أعلم كل منهم الطبخ ··· فسوف يتولى كل منا الطبخ يوما من أيام الأسبوع ·· قلت بدهشة « هل هـذا هو كل ما يقلقك » قالت « نعم ·· ولكننى أظن اننى أستطيع أن أعلمهم » وضحكت ·· وتصورت ما الذى يمكن أن يحدث اذا سمع هـذا الحديث أحد فى مصر ·· ماذا يقول اذا علم أن هناك فتاة سوف تقيم مع أربعة شبان ·· وربما لا يتصور انهم يمكن أن يحيوا حياة عادية ·

بعد أيام رأتنى « رينيه » فى بهـو البيت الـدولى فاندفعت نحوى ·· ولأول مرة لم تبدأ حديثها بخبر جديد فى السياسة ·· بل قالت وهى ترينى خطابا ·· « جيوفانى قادم » وعلمت منها انه أرسل يقول انه قادم للولايات المتحدة الأمريكية · وفى أيام قليلة كانت « رينيه » تفكر فى ضرورة سرعة الانتقـال الى الشـقة قبل زملائها ·· وبدأت تدق باب غرفتى لتسأل هل تلائمها قصة شـعرها الجديدة ·· هل تضع بعض المـاكياج ·· هل تسدل شـعرها أم ترفعه · هل يناسبها هـذا الثوب ·· كان كل ما تفكر فيه ·· هل سيراها « جيوفانى » جميلة ؟ والغريب أن لمسة الجمود فى الشخصية التى بقيت لرينيه من الأصل الألمـانى بدأت تختفى من مشيتها ·· من وجهها ·· من طريقة حديثها ·· حلت محلها لمسة رومانسـية رقيقة وجاءت يوما تقول انه أرسل يقول أنه سيأتى الى نيويورك ·· لكنه لا يعرف أن كان سيستطيع الحضور الى شيكاغو لأن هـذا يتطلب مزيدا من النقود ·· واعلنت لى رينيه انها أرسلت تقول له

انها على استعداد لدفع ثمن الرحلة بالقطار ·· مع أن « رينيه » تتعامل مع النقود بحرص شديد ·· و « الأصل يحكم كمـا يقول المثل » ··

اذا نجحت تجربة « رينيه » مع « جيوڤانى » أو لم تنجح فهى فقط التى تتحمل المسئولية ·

وعدت أتساءل مرة أخرى من على صواب · ومن على خطأ ·· حريتهم الزائدة ·· أم قيودنا نحن الزائدة ·· هل هـذه الحرية تنتج دائما انسانا متوازنا يملك قراره أم انها أحيانا تنتج ضحايا ·· وجاءنى الجواب سريعا عندما بدأت « جين » تظهر فى المبيت الدولى و « جين » فتاة أمريكية جميلة بمنطق الأنوثة وهـذا نادر فى الأمريكيات ·· يتموج شعرها البنى الفاتح حول وجه جميل ·· ترتدى تى شيرت والبنطلون الجينز ككل الأمريكيات ·· لكنها تستند بيدها اليمنى على « عكاز » ! ·

● ● ●

« جين »
بنطلون جينز وعكاز

- أمريكا ليست ناطحات سحاب ·· وطرقا عريضة ·· وتكنولوجيا متطورة ·· ومدنية مجنونة ·· لكنها بشر اختلطت كل هـذه الأشياء بلحمهم ودمائهم وأعصابهم ·· ليصبحوا بشرا آخرين بشرا مختلفين !!

« جين » جسد فاتن ·· ووجـه جميل ·· وتى شـيرت ·· وبنطلون جينز ·· وعكاز !!

« جين » هى الوجه القبيح للحرية الأمريكية ·· وجه العملة الآخر ·· ثمن الحرية الذى يدفع أحيانا ·

رأيت « جين » لأول مرة فى بهـو البيت الدولى ·· كانت « رينيه » تحدثنى كعادتها عن آخر الأخبار السـياسية ·· وكان الحماس قد أخذها ·· عندما شاهدت فتاة جميلة تحيط بوجهها هالة من الشعر البنى الفاتح وترتدى تى شـيرت مفتوح وجينز وتسير بصعوبة · واستطعت أن ألحظها ·· انها تعانى من شىء ما فى احدى ساقيها ·· رغم أن الفتاة كانت تحاول أن تبدو طبيعية ·· فكانت تضغط عليها بشدة يشوبها قدر من العصبية ·· لتسـير بطريقة طبيعية لا تلفت اليهـا نظر احـد ·· لكن رغم هـذا بدا واضحا ما تعانيه وما تحاول اخفاءه ·

لفتتت « جين » نظرى ليس فقط بسبب طريقة سيرها ولكن ـ أيضاـ لأن « جين » لون من الجمـال مختلف تماما عن الجمـال الأمريكى الذى اعتدت أن أراه فى الأمريكيات منذ أن قدمت الى هنا ٠٠ فجمال « جين » فيه أنوثة ٠٠ وهو ما تفتقده الأمريكيات عادة ٠٠ فلا أنوثة فى الوجه ولا أنوثة فى الجسد ٠٠ ولا أنوثة فى الحركة ٠٠ ولا أنوثة فى التصرفات ٠٠ ولا أنوثة حتى فيما يرتدين من ملابس ٠٠ فالفتيات هنا يشترين ملابسهن من الأقسـام المخصصة لبيع ملابس الرجال أولا لأنها تناسـبهن وثانيا لأنهـا أرخص كثيرا من ملابس النساء !!

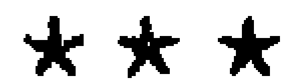
وبنظرة واحدة للشارع الأمركى تستطيع أن تلحظ أن ما يقرب من سبعين فى المـائة من الفتيات والنساء يرتدين البنطلون الجينز ٠٠ و « جين » لا تختلف فهى أيضا ترتدى الجينز لكنها ترتدى معه تى شيرت مفتوح يضفى عليها أنوثة واضحة ٠٠ هـذا بالاضافة الى طريقة تصفيف شعرها المتموج ٠٠ لذلك بدت مختلفة تماما فى نظرى ٠

وقد تصـورت فى البداية انهـا وافـدة جـديدة الى البيت الدولى ٠٠ لكن « رينيه » لمحتها وهى تحادث أحد الشبان المقيمين معنا فى البيت الدولى وهو « جـاز » ٠٠ فقـالت لى بطريقتهـا الانتقادية « الأفضل أن يبتعد « جاز » عن « جين » ٠ » واندهشـت من السبب الذى يجعلها تقول هـذا ٠٠ وأيضا لأن معنى كلامها أن « جين » ليست وافدة جـديدة ٠٠ عبرت لهـا عن تسـاؤلاتى فقالت :

« لا ٠٠ ليست وافدة جديدة انها تعيش هنا منذ مدة طويلة » قلت وماذا فى أن يتحدث اليها « جاز » ؟ و « جاز » هو نتيجة عجيبة لمجتمع أعجب ٠٠ « جاز » ببساطة ٠٠ بنطلون جينز وعمامة هندية فهو بكل المقاييس شاب أمريكى يرتدى الملابس الأمريكية ويتكلم ويتصرف بطريقة أمريكية ويعيش حياة أمريكية ويتكلم

بطـريقة أمريكية ·· يأكل حـروف الكلمات وينغمهـا بطـريقة خاصة ·· يمارس الرياضة ويعشق الموسيقى الصاخبة ويدرس الطب بالجامعة لكنه مع البنطلون الجينز يرتدى عمامة هندية على رأسه يغيرها كل يوم ليضع واحدة أخرى ذات لون مختلف ·· مرة زرقاء ومرة خضراء ومرة بنية ومرة حمراء لتلائم ما يرتديه من ملابس ·· هـذا لأن « جاز » ابن عائلة هندية ثرية تركت الهند منذ سنوات طويلة وجاءت للحياة فى الولايات المتحدة الأمريكية ليصبغ الطابع الأمريكى كل شىء فى حياتهم الا الجانب الدينى ·· واذا كانت العائلة مازالت تحمل شـيئا من الطابع الهندى ·· الا أن « جاز » الذى جاء الى أمريكا وعمره لا يتعدى العام الواحد ·· نشأ وكل ما حوله أمريكى الا حكايات الأهل وزيارة قصـيرة الى الهند كأى سائح ·· لينشأ آخر طبعة من الشـباب الأمريكى الذى لا يكف عن المرح ولا يفكر كثيرا ولا يعقد الأمور ويأخذ الحياة كما هى ·· لكنه يعمل جيدا ويجيد التخطيط لمسـتقبله ولا يحتفظ من الهند الا بديانته وديانة عائلتـه ·· التى تتبع طـائفة « السيخ » الهندية التى يرتدى أفرادها هـذه العمامة رمـزا لأنهم اتباعها ·

وهـذا التناقض الشديد بين شكل العمامة الهندية على رأس « جاز » وبين البنطلون « الجينز » الأمريكى فى ساقيه · تناقض موجود أيضا فى نفسيته ·· فليس من السهل أن تركب عمامة هندية على بنطلون جينز أمريكى !!



قلت وأنا أنظـر الى « جـاز » وهـو يحـادث « جين » ·· « ما الخطر فى أن يتحدث « جاز » الى « جين » ·· ولمـاذا تقولين انه يجب أن يبتعد عنها ؟! » ·· قالت « رينيه » وقـد ارتدت قناع العقل ·· « أنت لا تعرفين ·· لقد عادت « جين » اليوم فقط مـن المستشفى ·· وأى شىء ولـو تافها يمـكن أن يصـيبها بصدمة تدمرها » · وعرفت قصة جين ·· قصة تعكس بحق

كل ما يضطرب به المجتمع الأمريكى تحت السطح من تناقضات وصراعات ٠

عادت « جين » اليوم من المستشفى حيث كانت تعالج بعد انقاذها من محاولة الانتحار !!

وفى المستشفى حاولوا علاجها من محاولة الانتحار ومن ادمانها الشديد للخمر ٠٠ اللذين تسببا معا فى احداث جلطة شديدة فى ساقها ٠

جلطة فى ساق فتاة لم تتعد السادسة والعشرين من عمرها !!

ما الذى يدفع فتاة مثلها الى الانتحار ! بل ما الذى يدفعها الى ادمان الخمر هذا الادمان المدمر !!

ظل هذا السؤال يلح على ذهنى ٠٠ حتى عرفت أن « جين » عاشت وحيدة بعد انفصال أبويها ٠٠ ثم تعرضت لعدة صدمات عاطفية أسلمتها الى ادمان الخمر الى أن أطاح بها ما حدث لأختها ٠٠ فقد رزقت أختها بطفل غير شرعى من شاب زنجى أسود !!

وسألت ٠٠ هل لأنه طفل غير شرعى ٠٠ أم لأنه من شاب زنجى أسود ٠٠ وجاءنى الجواب سريعا حين قالت « رينيه » لا ليس لأنه غير شرعى فهذا لا يهم كثيرا ٠٠ ولكن لأنه من شاب زنجى ٠٠ أسود ٠٠ ان هذا يعتبر فضيحة » !!

ان نسبية القيم فى هذا العالم وتناقضها الشديد يمكن أن يسلمك للجنون ٠٠ وتعجبت من المجتمع الأمريكى الذى يحاول أن يدعى العدالة والمساواة فى الحقوق وخاصة الحقوق السياسية ٠٠ لكن الأسود ٠٠ أسود ٠٠ و « اللى فى القلب فى القلب » !!

خرجت « جين » من المستشفى بعد أن ساعدوها لتتغلب قليلا على ادمانها الخمر ٠٠ وبعد أن خفت حدة الجلطة فى ساقها قليلا ٠٠ لكن كانت تكفى نظرة واحدة الى « جين » لتعرف أن ادمان الخمر مازال يرشد بداخلها ٠٠ وهى لا تقوى على محاربته وتحاول ـ فقط ـ الهرب منه ٠٠ ولتعرف أيضا أن الجلطة مازالت هناك فى ساقها رغم محاولاتها المستميتة للسير بطريقة عادية !!

بعد يوم حافل أرهقتنا فيه الدراسة ٠٠تجمعنا مجموعة من المشتركين فى الدورة الدراسية وواحدة من أعضاء هيئة التدريس وهى فليبينية وزوجها وقررنا الخروج ليلا للترويح ٠٠ قالت المدرسة الفليبينية « نذهب الى بار الجامعة ٠٠ هناك حفلة خاصة هذا المساء » قلت بدهشة « بار فى الجامعة » أجابت بالايجاب ٠٠ وفى دقائق كنا نجتاز المبنى الذى يوجد به حمام السباحة ٠٠ وندخل الى البار ٠٠ مكان مكتظ بالشبان والفتيات وفرقة موسيقية تصرخ موسيقاها وتختلط بالهتافات العالية ومغنية سوداء تحاول أن ترفع صوتها فوق كل هذه الضجة ٠٠ ووجدنا شابا من أعضاء هيئة التدريس فى المركز دعانا الى مائدته ولا أعرف كيف وجدنا مكانا لنجلس وسط هذه الأجساد المتلاصقة ٠٠ ولمحت « جين » تجلس مع شاب على احدى الموائد ٠٠ وكانت تشرب ٠٠ وتسلل حزن عاجز الى صدرى ٠٠ ولم استطع أن أحول عينى عنها طوال السهرة ٠

وفى اليوم التالى ٠٠ كنا نسير أنا و «رينيه» فى طريقنا لتناول العشاء فى مطعم البيت الدولى ٠٠ عندما رأيت « جين » و « جاز » يتحادثان فى أحد الأركان ٠٠ وبعد أن مررنا بهم ٠٠ قالت « رينيه » « ألم أقل لك أنه يجب أن يبتعد عنها » وعندما رأت أننى لم أفهم أضافت ٠٠ « ألم تسمعى ٠٠ انهما ذاهبان الآن الى البار ٠٠ اذا ذاقت جين نقطة خمر واحدة فستعود الى الادمان ولن ينقذها شىء هذه المرة » كدت أقول لها أنها كانت تشرب أمس ٠٠ ولكننى وجدت نفسى أقول لها بدلا من ذلك « ان « جاز » لا يشرب الخمر ، هذا

لأن اتباع طائفة « السيخ » لا يشربون الخمر ٠٠ قالت : « نعم ٠٠ ولكنه سيصحبها وستشرب هى » مرة أخرى كدت أقول لها ٠ لقد شربت بالفعل ٠٠ ولكننى صمت ٠

واصبحت « جين » تشغل ذهنى ٠٠ هل بدأت تنهار ؟! هل ستعود الى الادمان وتطيح بها الجلطة ؟!

كنت عائدة يوما من احدى المحاضرات وعند باب البيت الدولى رأيت جين تدخل أمامى وهى ترتكز على عصا تستعملها عكازا لتسير ٠٠ وكانت هذه هى المرة الأولى التى أراها تستعمل عكازا ٠ وشعرت بغصة فى حلقى ٠٠ شىء مؤلم أن ترى كل هذا الجمال والشباب مشوها يعانى من أمراض الشيخوخة المتأخرة ٠٠ وخاصة فى أمريكا التى يتصرف فيها الشيوخ وكأنهم شباب فى العشرين ٠ وبالذات فى هذه الأيام التى تجتاح فيها أمريكا حركة العجائز ٠٠ فهناك جمعية للعجائز ٠٠ ترأسها سيدة وترفع شعار « اننا الأغلبية التى سوف تصبحون منها » ٠٠

وقد استطاعت أن تحصل للعجائز ٠٠ على تخفيض فى ثمن تذاكر الأتوبيس والأدوية ٠٠ وأصبح العجائز من السيدات يعدن الآن للعمل بعد أن يتخلصوا من مسئولياتهم سيدة فى السبعين من عمرها عادت تدرس فى الجامعة من جديد ٠٠ ان الزواج للمرة الثانية وتغيير العمل والعمل فى وظيفة أخرى أصبح شيئا عاديا حتى ولو فى الشيخوخة ٠٠

فالمجتمع ليس ضدك اذا حاولت أن تغير حياتك ٠٠ وليس عليك أن تفكر أنك كبرت ٠٠ لأنهم يرقصون ويعيشون معا رغم أنهم كبار ٠٠ شىء عادى هنا أن ترى أرمل يعيش مع أرملة بلا زواج رغم أن هذا كان مقصورا على الشباب من قبل ٠ فلفترة طويلة بعد الحرب كان المجتمع هنا يعطى كل اهتمامه للشباب ٠٠ لكنه الآن أصبح يهتم بالكبار ويعاملهم على أنهم صغار ! فهناك الآن مجلة

مخصصة للكبار ‥ وفى كل يوم يحصل الكبار على حقوق جديدة و ‥ وأهم هـذه الحقوق ‥ أنهم يرقصون ويرتدون الشـورت والتى شيرت وكأنهم فى العشرين حتى لو كانوا فى السبعين ٠

وقبل أن أرى « جين » وهى تستند الى عكازها وتجتاز باب البيت الدولى ‥ رأيت سيدة تخطت السبعين ترتدى شورت ساخن وتى شـيرت وتضع على رأسـها قبعة بلاج وتأكل الأيس كريم ‥ ولا قانون لشىء هنا ‥ انقلبت كل الموازين ‥ عجوز فى السبعين ترتدى الشورت وتسير فى رشاقة ‥ وشابة فى العشرين تعانى من جلطة وتستند الى عكاز !

★★★

أصـبحت أرى « جين » كثيرا فى البيت الدولى ‥ كانت تبدو ضعيفة تواجه مجتمعا قويا وتدعى القوة ‥ من نافذة غرفتى رأيت « جين » تضع عكازها جانبا وتفرد قطعة قماش عريضة على سطح منخفض من أسطح البيت الدولى وتتمدد فى الشمس التى سطعت فى سماء شيكاغو ‥ كانت تبدو ضائعة فى رقدتها هـذه وعكازها بجوارها ٠

كانت أحيانا تتخلص من عكازها وتجاهد لتسير وكأن ليس بها أى شىء ‥ ثم تعود وتظهر من جديد وهى تستند الى عكازها وقد خذلتها ساقها ‥ ولم تعد تستطيع أن تحملها دون مسـاعدة العكـاز ! ‥

كان اليوم ‥ الجمعة ‥ وقد تصدر لوحة الاعلانات فى بهو البيت الدولى اعلان عن الحفلة التى ستقام اليوم فى قاعة الحفلات فى البيت ‥ وعندما اقتربت الساعة من التاسعة مساء ‥ كانت الحركة تدب فى كل أرجاء البيت ‥ أبواب الغرف تفتح وتغلق ‥ الأحواض وأماكن الاستحمام ممتلئة عن آخرها ‥ الحركة بين الغرف والحمامات لا تهدأ ‥ المصعد يصعد ويهبط براكبيه ‥ الكل يستعد للحفلة ‥

وبدأ الجميع يفدون الى القاعة الكبرى عبر مكتب صغير وضع الى جوار الباب ، وجلس عليه أحد الشباب المشتركين فى ادارة النشاط فى البيت .. يراقب الداخلين الى الحفلة .. فاذا وجد وجها غريبا .. عرف أن صاحبه ليس من المقيمين فى البيت .. وعليه أن يدفع دولارين ثمنا لحضور الحفلة والاستمتاع بالموسيقى والرقص والمشروبات التى تقدم .. أما المقيمون فى البيت فهم يتمتعون بكل هذه الأشياء مجانا ..

ودلفت عبر الباب ليستقبلنى صوت الموسيقى . كان هناك بعض الشبان والفتيات يقفون فى مواجهة الباب الذى يؤدى الى قاعة الرقص ليتناولوا المشروبات التى تقدم ، وكانت جين تشرف على تقديم المشروبات ووصلت الى القاعة .. كان الظلام يسود المكان الا من بعض الأضواء الخافتة .. وصوت الموسيقى يعلو .. وهناك بعض الموائد والمقاعد متراصة على الجانبين تاركة مساحة شديدة الاتساع فى الوسط للراقصين .

لكن الحلبة كانت خالية ،كان الجميع جالسين .. ولم يسر الحماس بعد الى الأجساد لتشارك الموسيقى عزفها .. وبدأ حماس الموسيقى يزداد فى ضربات متتالية ..

كان « جاز » بعمامته الهندية وبجواره صديقه الكورى « بيت » يحاولان اثارة حماس الجالسين .. فوضعا قطعة موسيقية اكثر صخبا وحماسا .. واشتعل حماس الموسيقى أكثر .. وقفز « جاز » من على المسرح العالى الى أرضية القاعة الخشبية فى رشاقة متناهية .. ثم جذب احدى الجالسات وانطلقا يرقصان وفى ثوان كانت القاعة تمتلىء بالراقصين وقد سرت عدوى الحماس الى الجميع ..

ورأيت « جين » تدخل القاعة بلا عكاز .. استندت الى الباب .. وظلت تراقب الراقصين .. وظللت أنا أراقبها .. وفجأة وجدتها تقترب من « جاز » والفتاة التى تراقصه وتشاركهم الرقص

كان مؤلما رؤيتها فى محاولتها المستميتة للرقص ·· كانت تضغط بكل قوتها على ساقها لتقوى على الرقص ·· كانت ترفع ساقها المريضة وتحمل كل جسدها على ساقها السليمة · كان مشهدا مؤلما الى حد المرارة رغم انها تحاول الابتسام وهى ترى من حولها يرقصون بلا مجهود وبلا عناء وباستمتاع حقيقى ·· بينما ساقها تعوقها ·· لكنها ظلت ترقص وترقص وقد تجمع العرق على جبينها ·· فأخذت تزيح خصلات شعرها من حول وجهها بعصبية وتواصل الرقص ··

واستماتت فى محاولة يائسة لتسرع من حركتها ·· لكن ساقها لم تطاوعها ·· واخذ جسمها يهمد تدريجيا من تأثير الحركة اليائسة ·· وأخذت حركتها تهبط ببطء ·· ببطء ·· ولم تستطع أن تكمل ·· فعادت الى الوراء وهى تقاوم السقوط ·· واستندت الى الباب ·· وأخذ صدرها يعلو ويهبط وقد تلاحقت أنفاسها وغامت عيناها !!!

وظلت عينى عليها ·· حتى شعرت بيد تمتد نحوى فى الظلام ورفعت رأسى لأجد رجلا متوسط العمر يطلب مراقصتى !

● ● ●

الحب ..
طلقة رصاص !

اذا كانت مفردات الحب عندنا هى ‥ نظرة ‥ فابتسامة ، فموعد ‥ فلقاء ‥ فانها تتحول هنا الى نظرة فعلاقة خاصة كاملة !!

ان هذا قد يصدمك للوهلة الأولى ‥ وتكاد تعجز عن فهمه والتعامل معه ‥ لكنك تكتشف أن السرعة هى القانون هنا ‥ السرعة فى كل شيء ‥ فى السير ‥ فى العمل ‥ فى المقابلات ‥ فى الشراء ‥ وحتى فى العواطف ‥ وخاصة فى « البيت الدولى » ‥ فكل شخص هنا يعرف أنه يعيش لفترة ويرحل ‥ يرحل الى وطنه البعيد ‥ أو يعود الى ولايته الأمريكية ويعرف أيضا انه لو بقى هو فان الآخر سيرحل ‥ لذا فان الحب هنا سريع ‥ مؤقت ‥ كطلقة الرصاص !

كان حماس الراقصين قد ازداد اشتعالا عندما وجدت نفسى وسط الحلبة وأمامى شخص لا أعرفه ‥ رجل فى متوسط العمر ‥ ربما كان فى الأربعين من عمره ‥ ملامحه هادئة ‥ ربما اكون لمحته يوما فى ردهة البيت الدولى ‥ تبادلنا المعرفة . عرفت ان اسمه « جون » وأنه أمريكى يعيش فى « البورتوريكو » حيث يعمل بتدريس التاريخ فى الجامعة ‥ قلت اننى مصرية ‥ فتغيرت

ملامحه الهادئة ·· وصرخ فى ود من التقى بصديق قديم ·· « مصرية ·· نفرتيتى » ضحكت قائلة ·· « لسنا جميعا نفرتيتى »·· قال « اننى أرى مصر فى نفرتيتى وحتشبسوت ·· وخوفو وخفرع والأهرامات ·· اننى أرى مصر فى الفراعنة »

عبرت له عن دهشتى لاهتمامه الشديد بمصر والفراعنة ·· فقال ·· « اننى أدرس الحضارات بالجامعة ·· وعندما أدرس الحضارة الغربية أبدأ من مصر ·· وأقول لطلبتى أن الحضارة بدأت من مصر ·· وأحكى لهم عن الحضارة الفرعونية ·· عن ملوك الفراعنة ·· عن مقابرهم وأهراماتهم ·· هل تصدقين اننى اشعر أحيانا أن طلبتى من أبناء البورتوريكو يحسدون مصر لان لها مثل هذه الحضارة ·· بينما هم لا يملكون سوى ماض قصير لا يعدو بضع سنوات · لذلك اعتدت أن أقول لهم أنهم يوما ما بعد سنوات سوف تكون لبلادهم أيضا حضارة » ·

أخذ يتحدث عن الفراعنة فرعونا فرعونا ·· فرعونا ·· والأسرات ·· أسرة ·· أسرة ·· وأنا أنظر اليه ·· شيء عجيب أن تجد نفسك فجأة تراقص شخصا غريبا لا تعرفه ·· وتتحدث اليه وكأن بينكما معرفة قديمة ·· لكن حديث « جون » عن الفراعنة أزال الاحساس بالغربة ·· ربما لانه أوجد بيننا شيئا مشتركا وعدنا الى المائدة ·· وامتد الحديث ·· ثم قام « جون » ليأتى بشيء نشربه من خارج القاعة حيث تقدم المشروبات ·· فوجدت شابا يقترب منى ويدعونى الى الرقص ·· وغطى صوت الموسيقى العالى على محاولتى الاعتذار ·· كما انه هو لم يترك لى فرصة لهذا الاعتذار فقد تقدم الى منتصف القاعة وشرع فى الرقص ·· ولم أرد احراجه ·· ووجدت نفسى مرة أخرى وسط الحلبة ·· ولم يدر بيننا أى حوار ·· فشعرت بمعنى أن تشارك غريبا الرقص حتى لو كان رقصا سريعا بدون عناق كالذى يدور هنا ·· ان الاندماج الشديد مع

الموسيقى الصاخبة يجعلك تشعر بمدى المسافة الشديدة من الغربة التى تفصلك عن الوجه الذى امامك · بعد دقائق والموسيقى تصرخ ·· حرك شفتيه واستطعت أن التقط بصعوبة اسمه « بول » وانه من بولندا ويدرس هنا فى شيكاغو ·· كان يلقى بهذه المعلومات بشكل تقليدى لاتمام التعارف ·· فزاد احساسى بانه غريب اكثر ·· ليس من السهل ان يقترب منك انسان ويزيل مسافات الغربة بينكما ان هذا يكون أحيانا أكثر صعوبة من معادلات الكيمياء نفسها ·· وتنفست بارتياح عندما انتهت الرقصة ·· وهممت بالانسحاب ·· فحاول أن يبقينى بالحاح فيه مراهقة ·· لكننى صممت على الانسحاب بشكل انفعالى ربما بدا زائدا عن حاجة الموقف ·· عدت الى المائدة ·· لاجد « جون » جالسا ·· وعدنا الى حديثنا عن مصر ·· كان مشوقا لى أن أعرف كيف تدرس مصر فى احدى جامعات البورتوريكو ! وبدا هو مهتما بشدة بكل ما أحكيه عن مصر ·· كان يسألنى السؤال تلو الآخر وكأن فضوله عن مصر لا ينتهى ·

ونظرت حولى الى المكان ·· الى الجالسين ·· الى الراقصين واكتشفت اننا جميعا غرباء ·· نبحث عن الاهتمام ·· عن المشاركة ·· عن الدفء ·· لكن المؤكد ان لكل طريقته ·· ولمحت « هاريش » زميلتى اليونانية تراقص شابا اشقر ·· كانت تراقصه منذ بداية الحفلة ·· ورغم أن تعارفهما بدأ منذ ساعتين فقط ·· عندما بدأت هذه الحفلة ·· الا انهما كانا يرقصان متعانقين وكأنهما عاشقان قديمان !

وعجبت للسرعة التى تشتعل بها العواطف هنا ·· وعجبت أيضا للطريقة التى تطيح بها هذه العواطف بأى شىء وبكل شىء ·· ربما لانى أعرف أن « هاريش » باحثة اجتماعية ·· وزوجة ·· وأم لطفل صغير ·· لكن قانون العواطف هنا فى أمريكا ·· وفى البيت الدولى بالذات لا يترك لك فرصة لتكون وحيدا ·· ان

الاحساس بالغربة يفصلك عما تركته وراءك ·· ويحاصرك باحساس شديد من الوحدة ·· وكأنك تسقط فى فراغ ·· تصبح هشا ·· يهزمك الاحتياج ·· تتوق الى أذن تسمعك ·· وعين تراك ·· وعقل يفهمك ·· ربما لأول مرة أشعر بمعنى أن تكون فى « غربة » ·· الا تجد حولك من اعتدت أن يحوطوك بجدار من الحب والدفء والاهتمام ·· وعندما يختفون ·· عندما يصبحون بعيدين عنك بمسافة طويلة ·· عندما يبتعد صوتهم ·· وتتوه ملامحهم وراء غلالة البعد ·· تشعر بفراغ هائل فى صدرك ·· بانه عار ·· بانه لا شىء يحميك ·· بانك تحتاج الى قوة الأرض لكى لا تستسلم لهذه العلاقات العاطفية التى تولد هنا داخل هذا البيت وتموت هنا أيضا ·· والتى تولد من رحم الغربة والاحتياج ووجود جمع من الشباب لا يتفقون فى شىء سوى أنهم غرباء ·· ويدفع هذا الاحساس بالغربة بالجميع فى طريق العلاقات السريعة ·· السريعة الاشتعال والسريعة الانتهاء أيضا ·· فالحب هنا طلقة رصاص ·· ما أن تنطلق حتى تصيب الهدف وتنتهى يوم أن تحمل حقيبتك وترحل !

واستمر « جون » يحدثنى عن البورتوريكو ·· كان يحكى لى كيف قام أحد طلبته بعمل تمثال لنفرتيتى وأهداه له ·· كان الحديث ممتعا وأهم من ذلك انه لم يكن يضعنى فى أى موقف حرج ·· يجعلنى فى حالة تيقظ ويضع على عبء ضرورة التصرف بطريقة سريعة ولائقة ·· وبخاصة لائقة ·· فانا لا أدرى ما هو اللائق وما هو غير اللائق هنا ·· فى هذا المجتمع الذى يبدو لى أحيانا وكأنه يسير على رأسه !

كان « جون » قد بدأ يحكى لى عن عائلته ·· وعرفت انه متزوج وله ثلاثة أطفال ·· وقمنا نرقص مرة أخرى ·· وقد شعرت ان بيننا نوعا من الصداقة ·· وأضفت على الموسيقى والرقص السريع احساسا بالانطلاق والتحرر والراحة ·· لكننى أفقت على

جون يقول بنفس رقته وهدوئه ورزانته ، هل تحبين أن تأتى معى الى حجرتى لأريك صور أطفالى ·· وأعترف اننى صدمت ·· ولم أدر ماذا أقول ·· وسمعت نفسى أردد « لا ·· شكرا ·· انا أفضل ان نظل بالحفل » كان الصوت وكأنه ليس صوتى ·· لم يقل أى شىء ·· ظل محتفظا بابتسامته ·· وعاد الى احساسى بغربتى ·· وعاد معى تيقظى ·· وغزا صدرى احساس شديد بالضيق ·· ازدحمت رأسى بالأسئلة ·· ما الذى فعلته حتى يقول شيئا كهذا ؟ ·· وهل تصرفت بطريقة صحيحة ·· هل كان يجب أن أظهر له غضبى وتبرمى بدلا من هذا الرد الدبلوماسى ·· هل كان يجب أن أتركه فورا بدلا من أن أستمر فى الرقص ·· ماذا قصد مما قال هل قصد مجرد ما قال ·· أم أنها دعوة مغلفه بطريقة حضارية ·· منعنى ضيقى وحيرتى من الاستمتاع بالرقص وقلت فى هدوء ·· « أعتقد أنه من الأفضل أن نعود الى المائدة » ·

فى اليوم التالى ·· كنت أتناول الأفطار عندما جاء « جون » ليجلس ·· أخذ يتحدث فى بساطة وبطريقته المعتدلة الهادئة ·· وتكررت لقاءاتنا فى المطعم ·· أو فى البهو · أو حول النافورة فى جلسة مسترخية تحت السماء ·· كان دائما كما هو يفتح حديثا ممتعا ·· حديثا جادا كنت أشعر خلاله اننى أحصل على الكثير من المعلومات الجديدة ، وكان يتصرف دائما كصديق ··ولم يتمد هذا أبدا ·· وقد جعلنى هذا أشعر بحيرة ·· هل هو لم يقصد ما قاله فى تلك الليلة ·· أم انها كانت مجرد نزوة أو محاولة جس نبض ·· أم انها الغربة والاحتياج ، المهم اننا أصبحنا بالفعل أصدقاء ·· كان يطلعنى على ما يصله من أخبار عائلته ·· ويشاركنى قلقى بسبب تأخر الخطابات القادمة من الوطن ·· كنا نجلس فى احدى المرات ومعنا « رينيه » عندما مرت « هاريش » وهى تحمل مضرب التنس وبجوارها الشاب الأشقر الذى كانت تراقصه فى الحفل ·· وقد عرفت انه برازيلى ·· حيتنا « هارش » فى مرح ·· وضحكت « رينيه » قائلة « أخيرا استطاعت هاريش الاستمتاع بوقتها هنا ·· الآن فقط سوف تكف عن الشكوى » ، وضحكت ·

فى اليوم التالى ضمتنى جلسة مع « بيفلى » وهى فتاة أمريكية تمارس الصحافة بطريقة « القطعة » أى أنها تكتب من حين لآخر ولا تعمل بشكل منتظم فى الصحافة .. و « بيفلى » خليط من أب يمتد أصـــله الى أوربا لكنه يحمل الجنســية الأمريكية وأم من هاواى .. ولذلك يحمل وجهها لمحة جاذبية تنتمى الى أهل هــذه الجزر .. لكنها بكل المقاييس فتاة أمريكية .. تعمل لتنفق على نفسها .. وتعيش بعيدا عن الأهل الذين يعيشون فى ولاية أخرى بعيدة . قالت لى « لا يضــايقنى شىء هنــا فى هــذا البيت مثل الغرباء الذين يتصورون أن أى فتاة أمريكية يمكن أن تذهب معهم الى الفراش بعد كلمة « هالو » ضحكت قائلة .. « نعم .. الشىء المدهش حقا هنا انك لا تحدثين أحدا دون أن يدعوك الى غرفته » قالت بيفلى « انهم لا يريدون أن يضيعوا وقتهم فى التمهيد » .

وكأنما كنا نتنبأ .. فقد جاء يوم الجمعــة .. وبدأ الاستعداد للحفلة .. كنا جميعا نتشوق لأن تزيح الموســيقى والرقص عن كواهلنا عناء أسبوع من العمل الشاق .. كنت أجلس على مائدة وسط مجموعة من الزملاء عندما لمحت « هــاريش » على مــائدة بعيدة .. كانت تبدو متبرمة .. تنظر حولها فى ضيق .. ترقص لوقت قصير ثم تعود لتجلس مرة أخرى .. ويمر وقت طويل حتى يتقدم شخص آخر لمراقصتها .. ويبدو أن هــذا ضايقها .. فهى تريد المتعة فى كل لحظة ولا تصبر على انتظارها .. هل كان هــذا هو السبب فقط .. أم لأن الشاب البرازيلى لم يكن معها .. بل لم أره فى القاعة على الاطلاق . ونسيت « هاريش » قليلا واندمجت فى الحديث مع بعض الزملاء .. والرقص مع « جاز » الذى كان كعادته يدير موسيقى الحفل ويملأ المكان حماسا برقصه الرائع .. وجاء « جون » ورقصنا قليلا ثم خرج ليأتى ببعض الشراب .. عندما فوجئت « براءوول » وهو الشاب البرازيلى الأشــقر يقف أمامى ويطلب مراقصتى .

وضمتنا الحلبة ·· وضمنا أيضا حوار ·· وعرفت أنه جاء من البرازيل وانه يدرس ادارة الأعمال وهو أيضا مهندس وقد درس فى أمريكا من قبل · فهمت من حديثه انه ابن لعائلة غنية ·· وقد اعطاه هذا مقرونا بشباب ووسامة نوعامن الثقة بالنفس ·· وعدنا الى المائدة ·· فسحب كرسيا وجلس ولم استطع الاعتراض ·· وعاد « جون » ليجلس، لكن راؤولكان يصر على ان يفرض وجوده هو · ظل يتحدث ثم أصر على أن يدعونى الى الرقص مرة أخرى ·· ولم يدع مجالا لأى اعتذار ·· وعدنا للرقص ·· وما ان تنتهى رقصة حتىيبدأ فى التى تليها دون أن يدع لى أى فرصة للانسحاب ·· وعندما عدنا الى المائدة كان « جون » بذكائه قد أدرك ما يفعله راؤول وانسحب ·· شعرت بالضيق ·· ضيقك عندما لا تريد أن تتسبب فى ضيق صديق ·· لكن راؤول كان يواجه الدنيا بطريقة من اعتاد أن يحصل على ما يريد · وجذبنا الرقص بما يضفيه على الروح من بهجة وكأنه يغسلها من متاعبها ·· وكنا أثناء ذلك نتبادل الحوار ·· عندما قال « راؤول » : « هل استمعت من قبل الى موسيقى برازيلية ·· يمكننا أن نستمع الى موسيقى برازيلية ونتناول شرابا برازيليا فى غرفتى ·· ما رأيك ·· » لم اتشكك مطلقا فى قصده ··فقلت بوضوح وبلا مواربة ·· « لا ·· أعتقد أن الموسيقى والرقص هنا أفضل الا تعتقد ذلك » نظر الى وضحك وهو يقول بابتسامة ·· « لماذا هل تخافين » ·· قلت « هل تجد انه من المناسب أن تتعرف على فتاة فى أول الحفلة لتعرض عليها مثل هذا العرض فى نهايتها » ·· قال ببساطة أمريكية « ولماذا نضيع وقتنا ·· اننا نقضى هنا وقتا محدودا ونرحل ·· ولا وقت نضيعه للتمهيد للأشياء ·· نظرت اليه فى دهشة فقال وابتسامته لا تفارقه ·· « هل تجدين كلامى غريبا » قلت ·· « ليس غريبا ·· انه أعجب ما سمعت ·· فالمشاعر لا تسلق كالبيض » ·· ضحك قائلا ببساطة ووضوح يصعق « اذا اقتربت من المشاعر بطريقتك سأضيع شهورا وتكونين قد رحلت » ·

كنت مستلقية على فراشى فى مساء اليوم التالى عندما دق باب غرفتى ·· فتحت لأجد « هاريش » ·· كانت تبدو وكأن شيئا معلقا فى رأسها يضايقها ·· دعوتها للدخول ·· وجرنا الحديث ·· وحكت لى عن علاقتها بشاب قبل الزواج ·· وسألتنى عن حرية العلاقة الخاصة عندنا ·· وصرخت عندما علمت أن تقاليدنا لا تتيح العلاقة الكاملة قبل الزواج ·· قالت بدهشة « معنى هذا انكم لا تمارسون أى شىء حتى الزواج ! ؟ » بدا هذا عجيبا فى نظرها ·· لكننى شعرت انها تسحب الحديث للكلام عن شىء تريده ·· قالت بصراحة ·· انها كانت متصورة انها ستستمتع هنا أكثر من هذا ·· قالت ·· « لم تربطنى أى علاقة خاصة منذ جئت هنا ·· أنا لا أعتقد انه يمكننى أن أقدم على شىء مثل هذا الا اذا راقنى شاب الى حد كبير » فنظرت الى وبدا انها تحوم حول شىء ما ·· وصدق ظنى عندما وجدتها تقول ·· « لقد رأيت راؤول يراقصك فى الحفلة ·· ماذا كان يقول لك » تعجبت من السؤال رغم اننى تأكدت من السبب الرئيسى وراء زيارتها لى ·· وقلت ·· « لا شىء ·· ما الذى يمكن أن يقوله »·

قالت ·· « ألم يدعوك الى حجرته » قلت « لا » ·

قالت بانفعال ·· « انه شاب مراهق ·· لقد دعانى الى حجرته ·· لقد كان يراقصنى فى الحفل السابق ·· والآن يقترب منك أنت ·· لقد قررت أن أقول لك حتى تأخذى حذرك منه » كان الاحساس بالغيرة يطغى على الرغبة فى النصح فى صوتها ·· وضحكت فى سرى لأن هذا المشهد يمكن أن يحدث فى حجرة طالبات فى احدى جامعاتنا وليس هنا فى أمريكا ·· كدت أقول لها اننى لا أنوى الدخول فى مثل هذه العلاقات ·· لكننى قررت أن أدع اللعبة تستمر حتى أرى كيف ستتصرف · واستمرت اللعبة ·· استمر راؤول يلعب دور « الدون جوان » الذى يصر على ملاحقته حتى يصل الى علاقة ·· واستمرت « هاريش » فى نصحها وقد ضايقها انه لم يتحول بسرعة الى أخرى كما كانت تتمنى ··

كانت اللعبة كلها مراهقة حتى فوجئت براؤول بعـد أسـابيع من الملاحقة والمراوغة يواجهنى بشكل حاد متسائلا ٠٠ « هل تجديننى غير ظريف » » قلت لا بالعكس ٠

قال « اذن لمـاذا ترفضين اقامة علاقة معى ؟

قلت « لاننا لسنا سوى أصدقاء » ٠

قال « الا يمكن أن نكون اكثر من هـذا » ٠

قلت « لمـاذا تريد شيئا مثل هـذا ٠٠ لا تنس اننى سأرحل بعد عدة أسابيع » ٠

قال ببساطة « لنعش هـذه الأسابيع » ٠

قلت « لا يمكن » قال « أنا أعتقد اننى أعرف السبب » نظرت اليه مستطلعة ٠٠ أردف « أنت تحببين شخصا في بلدك » وقررت أن أجاريه فى تصوره لأرى ماذا سيقول فقلت « لنفترض » ٠٠ قال ببساطة « حتى لو كان هـذا صحيحا ٠٠ فهـذا شيء آخر ٠٠ سنعيش هنـا فترة ٠٠ فلننس مـا تركنـاه وراءنا ولنعيش هـذه الأسابيع » ٠

هززت راسى نفيا ٠٠ هل الوم منطق السرعة ٠٠ أم الغربة ٠٠ أو الوحدة ٠٠ أم محاولة الامسـاك بلحظة دفء وسـط صـقيع العلاقات هنـــا ٠

● ● ●

الساعة العاشرة

هل تعرف أين أبناءك الآن ؟ !

ان الساعة العاشرة مســاء ·· هل تعرف ماذا يفعل أبناؤك الآن ؟ اعتدت أن أسمع هــذا الصوت فى بعض الليالى وهو يصدر عن التليفزيون حاملا نبرة تحذير للآباء ·· تحذيرهم مما قد يفعل ابناؤهم ·· انها أمريكا فى لحظة ضعف ·· فى لحظة خوف من حرية الأبناء ·· من أن تقودهم الى الانحراف ·· الى الجريمة !

- وضعت خمسة وعشرين سنتا فى الآلة المجاورة لباب البيت الدولى ·· أخذت احدى نســخ جريدة « شــيكاغو تريبيون » ·· أخذت أتفحصــها وأنا أعبر الحديقــة فى طريقى الى محــاضرة الصــباح ·· استعرضت الصفحات بسرعة · وتوقفت عند مقال يحمل هــذا العنوان ·· « انها العاشرة مساء ·· أين شــعورك بالذنب الليلة » !!

وتابعت عينى سطور المقال ·· لقد كان يعبر بصدق شديد وبساطة أشد عن الطريقة التى تتعامل بها أمريكا مع الحرية ·· والمقال يعلق على محاولة التحذير التى يوجهها التليفزيون هنا الى الآباء فى بعض الليالى حيث يخرج صــوت يتســاءل ·· « انهــا العاشرة مساء ·· هل تعرف أين أبناؤك الآن ؟!

كتب صاحب المقال يقول ٠٠ « بعد أن كبر أبنائى مرت ليال عديدة لم أكن أعرف فيها أين أبنائى فى العاشرة مساء ٠٠ ولم يسبب هـذا لى أى قلق ٠٠ انها طبيعـة هـذه السن ٠٠ أن يقضى فيها الأبناء العاشرة مساء فى أماكن لا يعرفها الآباء ! وفى مثل هذه السن ٠٠ أمضيت أنا أيضا عدة ليال فى مثل هـذه الأماكن ٠ لذلك لم أهتم بهـذا الصوت الذى كان يغير تساؤله فى بعض الليالى ليقول ٠٠ « انها العاشرة مساء هل تعرف ماذا يفعل أطفالك الآن ؟ » ويكون ردى ٠٠ اننى لا أريد حتى أن افكر فى احتمالات هـذا السؤال ٠ أن هـذا السؤال الموجه اليك عبر التليفزيون ٠٠ يريدك أن تشـعر بالذنب لكونك أبا سيئا ٠٠ وان تلوم نفسك اذا ألقى القبض على أبنائك لمهاجمتهم محطة بنزين وقيامهم بسرقتها ٠٠ لكننى اكتشفت ان الساعة السابعة مساء يمكن أن تكون أكثر ملاءمه لمهاجمة وسرقة محطة بنزين ٠٠ فلماذا لا يوجه السؤال بالشكل التـالى ٠٠ انها السابعة مساء ٠٠ هل تعرف أين أطفالك ؟ » بهـذا الشكل الساخر يواجه كاتب المقال صاحب محـاولة التحـذير التى يوجههـا عبر التليفزيون ٠٠ أن الأمريكى لا يهوى منطق النصائح وارتداء ثوب الوعاظ ٠٠ لذلك يقول كاتب المقال فى مقاله :

« ماذا يحدث اذا عرفت أين يذهب أبنائى ٠٠ نفترض اننى سألتهم وقالوا انهم ذاهبون لسرقة محطة بنزين ٠٠ فماذا يفترض صاحب سؤال التليفزيون اننى سوف أفعل ٠٠ هل أسجنهم فى غرفهم ٠٠ هل يعرف ماذا سـيحدث ان أنا فعـلت ذلك لن يقـول لى أبنـائى الحقيقة » ٠

ويضيف كاتب المقال « اننى أثق أن الأبناء يفعلون ما رأوا أبائهم يفعـلونه ٠٠ واذا كان أبنـائى لم يرونى أنا وأمهم نهـاجم محطة بنزين ٠٠ لن يفعلوا هم ذلك أيضا ٠٠ بالطبع هناك أطفال منحرفون لا يشبون على مشاكله أبائهم لكن ليس هناك ما يمكن أن يفعله هؤلاء الآباء سوى أن يقاسوا ٠٠ والآباء الذين كبر أطفالهم يتعلمون القليل عن المعاناة ٠٠

طويت الصفحة وأنا أفكر فى ان هـذه هى بالضبط الطريقة التى يفكر بها الآباء هنا فى حرية أبنائهم ·· بطريقة منطقية ·· منطقية الى حـد الغـرابة ·· فهم يتوقعون أن يرتكب أبناؤهم أى شىء ··ويرون أن النتيجة الوحيدة للقسوة هى أن يكذب عليهم أبناؤهم ·· وانه اذا حدث وانحرف الأبناء ·· فان الآباء لا يملكون شيئا ازاء هـذا سوى ان يقاسوا منه · بل انهم تعلموا الا يقاسوا ··

هـذا هو منطق الأمريكيين فى التعامل مع حرية أبنائهم ·· استخدام العقل والمنطق فى مواجهة الأبناء المراهقين ·· وتوقع أن يفعلوا أسوأ شىء ·· وأسـوأ شىء هو أن يقتحمـوا محطـة بنزين ويسرقوها ·· وهو الشكل الشائع هنا لجرائم الأبناء ·· المهاجمة والاقتحام والسرقة ·· لذلك فان أسوأ شىء هو أن يسرقوا محطة بنزين ، لأن هـذا يعد جريمة يعاقب عليها القانون ·· وهـذا هو ما يقلق الآباء هنا فى الطريقة التى يستخدم بها أبناؤهم حريتهم ·· أما حرية هؤلاء الأبناء فى مواجهـة العلاقـات الخـاصة فهـذا لا يقلقهم ·· أو على الأقل لا يأتى فى المقام الأول فى اهتمامهم ·· فأهم شىء الا يتعرض الابن سواء كان شابا أو فتاة للوقوع تحت طائلة القانون ·

★★★

كانت المحـاضرة الأولى فى السـكان ·· كانت الأسـتاذة المحاضرة تتعرض بالذات للسكان فى الولايات المتحدة الأمريكية ·

واستعانت بعدد من الجداول الاحصائية لتدلل على ما تقوله ·· وأشارت الى أحد هـذه الجـداول وهو يتعرض للعلاقة بين السن والحالة الاجتماعية عند الأمريكيين ·

ويوضح ان عدد الشبان الذين لم يتزوجوا فى السن ما بين العشرين والرابعة والعشرين فى عام ١٩٧٥ كان ٢٠٣٣ وانه سيظل بنفس النسبة فى عام ١٩٩٠ ·· بينما كان عدد الفتيات اللاتى لم

يتزوجن فى نفس المرحلة من العمر فى عام ١٩٧٥ ، ٢٥٠٢ وسيقفز عددهن الى ٢٦٦٢ فى عام ١٩٩٠ .

وقالت استاذة السكان بالمركز ان هـذا يؤكد أن نسبة كبيرة من الشباب يتركون منازل أبائهم ليعيشوا بمفردهم .. بل أن الجدول الاحصائى التالى الذى شرحته الأستاذة كان يؤكد أكثر ما قالته وهو يعرض « للبيوت » الموجودة فى أمريكا وتصنيفها ..

ويشير الجدول الى أن الرجال غير المتزوجين ويعيشون فى بيوت مستقلة تصل نسبتهم الى ٧ر٤ فى عام ١٩٧٥ بينما ستقفز الى ٨ر٦ فى عام ١٩٩٠ .. أما الفتيات اللاتى لم يتزوجن فتصل نسبتهن الى ٤ر٤ فى سنـة ١٩٧٥ بينما تقفز الى ٣ر٦ فى عام ١٩٩٠ .

انه مجتمع غريب حقا .. يصيبك بالدهشة فى كل لحظة وأنت تعيش فيه .. ويكاد يقتلك من الدهشة اذا حاولت دراسته .. كانت أستاذة السكان مازالت تشرح تصنيف السكان فى الولايات المتحدة .. ومن الذى يمكن اعتباره « عائلـة » أو « بيت منفصـلا » اذا حاولنا اخضاع المجتمع لدراسة احصائية .. عندما قالت « توجد حالات كثيرة هنا لرجال وسيدات منفصلين بعضهم عن بعض بعد علاقة زواج سواء بالانفصال فقط أو بالطلاق ورغم ذلك يعيشون معا فى نفس البيت .. لذلك فهم احصائيا يحسبون على انهم بيت أو عائلة واحـدة » !

قلت لها فى دهشة .. « اذا كان زوجان قد وجدا أن هناك استحالة فى يعيشا معـا ففقررا الانفصـال .. فلماذا يعيشـان تحت سقف واحد بعد ذلك .. وخاصة أن أمريكا لا تعانى من أزمة مساكن ؟! » قالت الاستاذة بهدوء وهى تبتسم « يقرر الزوجان أحيانا ان يعيشا معا بعد الانفصال لانهم يكتشـفوا انه من الصـعب أن يقيموا بيتين من الناحية الاقتصادية .. وأحيانا ما يكون البيت

نفسه ملكا لهما معا .ويجدا صعوبة فى بيعه واقتسام ثمنه ليقيم كل منهما فى منزل مستقل ٠٠ فيقيمان معا فيه » !!

انه مجتمع يفكر برأسه أولا ٠٠ ورأسه هـذا كثيرا ما يكون فى جيبه !

ولأنه مجتمع يفكر برأسه أولا ٠٠ لا يلهث الآباء والأمهات هنا وراء زواج أبنائهم أو بناتهم بشكل خاص ٠٠ فسن زواج البنت هنا اثنان وعشرون عاما وسن زواج الشاب أربعة وعشرون وهـذا هو المتوسط بينما يتأخر الكثيرون بعد هـذا السن بسنوات طويلة وتزداد حالات عدم الزواج ٠ فالزواج يتقلص هنـا ويعـانى من أزمة ٠٠ وليس الزواج وحده بل الانجاب أيضا فحوالى ربع نساء أمريكا ليس لديهم أطفال !

انتهت المحاضرة ٠٠ وكنت عائدة الى البيت الدولى عندما رافقتنى زميلة أمريكية ٠٠ كنا ندردش عرضا حول المحاضرة ٠٠ فقالت تحكى لى عن أستاذ جامعى كبير هنا :

« انه يعامل ابنته بشدة ٠٠ يحاول ان يدفعها لتكمل تعليمها ٠٠ انها تعمل الآن ٠٠ لكنه قال لها صراحة ٠٠ اننى على استعداد لأن أدفع لك آلاف الدولارات اذا أردت أن تكملى تعليمك ٠٠ لكننى لن أدفع لك سنتا واحدا اذا أردت الزواج » ضحكت قائلة لها ٠٠ اذا ركبت الطائرة عدة ساعات الى مصر فستجد أبا يقول لها نفس هـذا الكلام لكن بالعكس ! » انه مجتمع يحترم عقلك أولا ويريدك أنت أن تحترمه ٠٠ وهو لا يدفعك فى طريق الارتباط للتخلص منك اذا كنت فتاة ٠٠ فهم يؤمنون أن حياتك الخاصة ملك لك تفعل بها ما تريد وهى مسئوليتك أيضا واختيارك هو أيضا مسئوليتك ٠٠ وبعد انتها الفتاة من دراسـتها الثـانوية ٠٠ تختـار أن تدرس بالجامعة ٠٠ أو تختار أن تعمل ٠٠ أو تختـار أن تسـافر ٠٠ أو تختار أن تتزوج ٠٠ أو تختار أن تنتقل للحياة فى ولاية أخرى قد

تبعد عدة ساعات وربما تكون أكثر بعدا من السفر الى دولة أخرى ·· انه فى النهاية اختيارها هى مسئولياتها هى ·· لانه لا أحد يدفع ثمنه فى النهاية سواها هى ··

انه مجتمع لا يؤمن بالتضحية ·· لا يؤمن برعاية الأبناء حتى حد التضحية الشديد ·· لا يؤمن بالحب الى حد التضحية ·· لا يؤمن بفعل أى شىء لا يريد هو أن يفعله ·· قالت لى زميلتى الأمريكية ·· « لقد زاد الاجهاض بسبب الرغبة فى الحرية والاستمتاع بالحياة لأن الطفل يجعلك مرتبطة به حتى سن العشرين أحيانا ·· ولم يعد الآباء يؤمنون أنه يجب أن ينجبوا ليجدوا أطفالهم حولهم عندما يتقدم بهم السن ·· فقد صدم عدد كبير من الآباء فى أبنائهم لانهم عندما كبروا كان الأبناء غير موجودين ·· كانوا قد رحلوا بعيدا بحثا عن حياتهم » ·

كنت أجلس حول النافورة هربا من حرارة الجو الخانقة ومن الرطوبة الشديدة التى تجتاح جو شيكاغو فى بعض أيام الصيف والتى لم استطع احتمالها داخل غرفتى الصغيرة ·· وفى ثوان انقلبت جلستى الهادئة الى جلسة عاصفة بعد مجىء « جاز » يصحبه « بيلفى » و « بيت » وأخذوا يتناوبون اللعب بطبق بلاستيك كانوا يطيحون به فى محاولة للاطاحة بعلبة مياه غازية فارغة وضعوها فوق حافة النافورة العليا ·· ملأت صيحاتهم الفناء ·· وعندما تعبوا من اللعب جلسوا وانتقل صخب اللعب الى صخب الحديث ·

كان « بيت » يحكى لى كيف أنه ولد لأب كورى وأم يابانية ·· قال فى تأثر « رغم الحب الشديد الذى جمع أمى وأبى ·· لكن أحدا لم يغفر لى هذا ·· لم يغفر لى اليابانيون ان أمى تزوجت من عدو لهم ·· كورى ·· ولم يغفر لى الكوريون زواج أبى من يابانية ·· لذا فانا لا أقول لأحد هنا سوى اننى كورى وكفى » كنت استمع اليه وأنا أفكر فى أننا اصبحنا نعيش فى عالم من التعصبات ·

كل انسان يتعصب لشيء الى حد الكراهية وكأن التعصب قد أصبح السبب الوحيد لوجودنا الآن ٠

كنا مازلنا نتحدث عندما ظهر شاب يحمل طفلا صغيرا ٠٠ ونادوا جميعا عليه ٠٠ « شارلى » وعرفت انه من أصل سويسرى ٠٠ وان الطفل ابنه ٠٠ رغم انه لا يميل لأن يبدو أبا ٠٠ جاء ليجلس معنا ٠٠ وأخذ الطفل الصغير ينتقل من يد لأخرى ونحن نداعبه ٠٠ واعتدت أن أرى شارلى وطفله بعد ذلك فى كل مكان فى البيت الدولى ٠

وقلت أسأل « بيلفى » وكانت تضمنا جلسة « هل شارلى يرعى ابنه دائما ٠٠ اننى أراه معه بصفة مستمرة ٠٠ يحمله ٠٠ يطعمه ٠٠ دائمتا معه ٠٠ لماذا لا ترعاه أمه ٠٠ » قالت بيفلى فى تساؤل « أمه ؟ » قلت « نعم زوجة شارلى » قالت بهدوء « لكن شارلى لم يتزوج » قلت بدهشة ٠٠ « لم يتزوج ٠٠ من أين اذن أتى بالطفل » قالت بهدوء أكثر « من فتاة طبعا ٠٠ لكنها ليست زوجته » قلت بدهشة « من قال لك هذا » قالت بهدوء قاتل ٠٠ « هذا شيء نعرفه جميعا » ٠٠ ثم أضافت مفسرة ويبدو انها ادركت أن الأمر يحتاج الى بعض التفسير منها لكى يستطيع عقلى أن يستوعبه ٠٠ فقالت ٠٠ « لقد كانا على علاقة ورزقت بالطفل ٠٠ ثم انفصلا ٠٠ انتهت العلاقة وهى لا تعيش هنا فى « ألينوى » ٠ وقد تركت الطفل لشارلى لانها لا تستطيع تحمل عبئه فهى تعمل ٠٠

قلت لها « تقصدين انه طفل غير شرعى » قالت « نعم اذا أردت أن تسميه كذلك » قلت « لست انا الذى أسميه ٠٠ لكن هذا ما اصطلح الناس على تسميته به » وصمت للحظات وتخيلت لو كان هذا الطفل فى مجتمع شرقى ٠٠ ما الذى كان يمكن أن يواجهه ٠٠ هل كان يمكن أن يظهر هكذا ويجاهر أبوه بعدم شرعيته ٠٠ انها بساطة قاتلة أحيانا ٠٠ فالمجتمع هنا يتعامل مع كل شيء وأى شيء ببساطة ٠

فمثل هـذا الطفل يعامل بشـكل عادى تمامـا الا من بعض العائلات القليلة جدا والتى مازالت تتمسك ببعض القيم القديمة ·· وهى أن يكون لأبنائها حريتهم فى ممارسة العلاقات الخاصة على شرط الا يأتوا بأبنـاء غير شرعيين ·· وهذه العـائلات يظهر رد فعلها ازاء الطفل غير الشرعى فى عدم دعوته الى أعيـاد ميلاد أطفالها ·

وهـذا هو قمة رد فعل المجتمع تجاه مثل هـذا الطفل غير الشرعى ·

وساءلت نفسى : لماذا تصـل حرية المراهقين هنـا الى حـد أنجاب الأطفال غير الشرعيين ، وجاءنى الرد سريعا ·

شعرت ببعض الملل فى المساء فذهبت الى حجرة التليفزيون فوجدت انهم يعرضون فيلما سينمائيا فى الفيديو ·· كان الفيلم على وشك الانتهاء ·· وكانت الحجرة ممتلئة عن آخرها حتى أن بعضهم افترش الأرض ولم يعد هناك مكان حتى على الأرض ·· وعندما انتهى الفيلم قام البعض فأسرعت لأجد مكانا لى فوق أحد المقاعد ·· وبدأ الفيلم الثانى فقد كان البيت الدولى يعرض فيلمين كل يوم لمدة ثلاثة أيام من كل أسبوع وهى الأيام التى تضم أجـازة نهاية الأسبوع ·· بدأ الفيلم وكان يحمل اسم (حب بلا نهاية) بطولة النجمة المراهقة الصاعدة بسرعة الصاروخ « بروك شيلدز » ·· ويحكى الفيلم قصة علاقة حب بين فتاة مراهقة وشاب مراهق ·

ويستعرض الفيلم كيف تقام حفلة فى منزل عـائلة الفتـاة يرحل فى نهايتها المدعوون جميعا ويتظاهر الشاب بالرحيل بينما يصعد الأب ولأم والأخ الى حجراتهم للنوم ·· لكن الفتى يبقى مع الفتاة ليمارسا الحب ·· وتصحو الأم على حركة ·· فتنهض من فراشها وتخرج من غرفتها التى تقع فى الدور العلوى ومن أعلى السلم ترى المشهد ·· ابنتها المراهقة عارية تمارس الحب مع فتاها

٠٠ وفى البداية تصدم الأم ٠٠ لكنها بعد ثوان ٠٠ تجلس على السلم لتراقب المشهد فى استمتاع !

ويستعرض الفيلم كيف تتطور العلاقة بين الشاب والفتاة ٠٠ حتى أن الشاب يحضر الى الفتاة فى منزلها ٠٠ ليغلقا عليهما حجرتها ويمارسا الحب ٠٠ وعندما يرى الأب هذا يثور ٠٠ الأم تحاول تهدئته وكأنه يتصرف بطريقة مجنونة وهى تردد « لقد كبرت البنت ولم تعد صغيرة » !!

واعترف أن ما كان الفيلم يعكسه صدمنى ٠٠ وسمعت أصواتا تنم عن الدهشة تعلو بجانبى لتطغى على صوت حوار الفيلم وموسيقاه ٠٠ واكتشفت أن « تسليم » الباكستانية زميلتى فى الدورة الدراسية هى مصدر هذه الأصوات ٠ وكانت تجلس فى مقعد مجاور لى وقد قفزت بساقيها داخل البنجابى الباكستانى فوق المقعد ٠٠ وقد اطاحت بها الدهشة مع كل مشهد من مشاهد الفيلم ٠٠ كانت تصرخ وهى لا تكاد تصدق أن هذا يمكن أن يحدث فى الواقع ٠

ولم يكن هناك أى مصدر آخر للدهشة فى القاعة سوى صرخات « تسليم » ودهشتى الصامتة ٠٠ فباقى المتفرجين من زملاءنا الذين يعيشون فى البيت الدولى كانوا يجلسون وهم يتابعون الفيلم بلا أدنى احساس بالدهشة فكل ما يرونه شىء عادى تماما بالنسبة لهم ٠

بل ان أصوات الدهشة والاستنكار التى كانت تصدر من « تسليم » أزعجتهم ودفعتهم الى الاستنكار ٠٠ فنبهتها الى ضرورة أن تحاول كتم دهشتها ٠٠ لكنها ظلت تردد « هذا غير ممكن ٠٠ غير معقول » !!

والغريب حقا أن الفيلم أخذ يستعرض كيف حاول الأب أن يبعد الشاب عن ابنته لفترة حتى تنتهى من امتحاناتها وحتى

لا يتسبب فى رسوبها وكيف طلبت الأم ذلك من الشاب برقة شديدة ٠٠ وكيف لم يحتمل الحبيبان هـذا الموقف القاسى الذى تسبب فى ضياع الشاب وجنونه حتى انه قام باحراق بيت حبيبته وعندما وجد النيران تشتعل جن جنونه فهو لم يتصور أن الأمر سيصل الى كارثة ٠

بل تصور انه سينقذهم ويبدو بمظهر البطل ٠٠ لكن النيران اندلعت لتأكل البيت فأخذ يصرخ حتى استطاعت حبيبته وأهلها الهرب من النيران ٠ ويستمر الفيلم مستعرضا كيف أن العائلة كرهت الشاب المتسبب فى كارثتهم ٠٠ وكيف انفصلت الأم عن الأب بسبب الفتى ٠٠ بل وكيف تسبب فى وفاة الأب ٠ وينتهى الفيـلم بفراق الحبيبين بعد أن أصبح غير ممكن ارتباطهمـا وبينهمـا كل هـذه الجروح المفتوحة ٠٠ كل ذلك لانهم طلبوا منه الابتعاد عنهـا بضعة أسابيع حتى تنتهى من عامها الدراسى !!

بل أن المثير للدهشة أكثر هو أن الشبان والفتيات الجالسين معنا فى القاعة من الأمريكيين كانوا يغرقون فى الضحك فى المشاهد التى تصـور ثورة الأب لان ابنته تمـارس الحب مع حبيبهـا فى حجرتها بالمنزل ٠٠ وعلانية !!

كانت ثورة الأب تضـحكهم الى حد الاغراق الشـديد فى الضـــحك !

عدت الى غرفتى ٠٠ كان هـذا الفيلم هو الاجابة على تساؤلى عن السبب فى وصول حرية المراهقين هنا الى حد انجاب الأطفـال غير الشرعيين ٠٠ ان الحب هنا حتى لو كان حب مراهقة ٠٠ يصل الى ممارسة الحب سريعا ٠٠ انها أيضا البساطة الشـديدة فى مواجهة حرية المراهقين والتعامل معها على أنها شىء طبيعى فى هـذا السن ٠٠ حملت « فوطة » وجهى وخـرجت فى طريقى الى الحمام لأغسـل وجهى عنـدما قابلت فتاة تسـكن معى فى نفس الدور ٠

كانت ترتدى الروب فوق قميص النوم ولم تكن متجهة الى الحمام بل الى خارج الدور فى اتجاه المصعد ، وتعجبت انها بالطبع لن تهبط الى البهو بملابس النوم ·· غسلت وجهى وكنت عائدة الى غرفتى عندما وجدتها عائدة الى غرفتها بصحبة شاب ·· حيتنى بابتسامة رقيقة ·· ودخلا معا الغرفة وأغلقا الباب وراءهما ·· دخلت غرفتى وأغلقت الباب وأحكمت اغلاقه ووضعت السلسلة حول المقبض ·· وجلست على حافة الفراش ·· انها الحرية فى ممارسة أى شىء دون أدنى محاولة لاخفائه !

● ● ●

حامل ..
فى
الحادية عشرة من عمرها !

حدث هــذا المشهد بمنتهى البســاطة ومنتهى الواقعيــة فى احدى العيادات الأمريكية للاجهاض ٠

فتاة فى الحادية عشرة من عمرهــا ٠٠ وجههــا وجه طفلة وبطنها منتفخة أمامها وقفت تنظر الى الطبيب ٠٠ بينما وقفت امها بجوارها تنتظر وعلامات العصبية تبدو على وجهها ٠٠ قال الطبيب أن الفتاة الصغيرة حامل فى أربعة أشهر ونصف ٠٠ قالت الأم « يجب اجهاضها » نظر اليها الطبيب قائلا : « أنها طفلة ٠٠ مازالت ضعيفة وأقول لك انها حامل فى أربعة أشهر ونصف ٠٠ كيف يمكن اجهاضها ٠٠ ان ذلك فى منتهى الخطورة على حياتها ٠٠ ويمكن أن يؤدى بها الى الموت !

تنفست الأم بصعوبة وقالت ٠٠ « أرجوك يجب اجهاضها » ٠٠ نظر الطبيب الى الفتاة فنظرت الى امها ثم عادت تنظر اليه وقد كست وجهها مسحة من الخوف لكنها أخذت تردد « أنا لا أريد طفلا ٠٠ لا أريده ٠٠ أنا مازلت صغيرة ٠٠ » حاول الطبيب ٠٠ لكن الأم ازدادت اصرارا ٠٠ بينما ظلت الفتاة الصغيرة تردد ٠٠ « أ نا لا أريده ٠٠ لا أريده ٠٠ لا أريد الطفل ٠٠ لا أريد أن اصبح أما » ٠

ورضخ الطبيب ·· وفتحت حجرة العمليات لتدخلها طفلة لا تتعدى الحادية عشرة ·· لتتخلص من جنين عمره أربعة أشهر ونصف !!

انها الضريبة التى تدفعها أمريكا أحيانا ثمنا للحرية ·· ضريبة لا تدفعها من حياة فتياتها فقط ·· بل أحيانا وفى حالات كثيرة تدفعها من حياة أطفالها ·

لقد اكتشفت بعد عدة أسابيع هنا ·· انه الاستثناء ·· أو الشاذ أن تجد شابا أو فتاة تمر بمرحلة المراهقة دون أن تمارس حرية العلاقة الخاصة ·

بل ان منظر المراهقة الحامل لم يعد شيئا غير عادى فى الفصول الدراسية بالمدارس هنا ! وقبل ذلك كان يحدث أن الفتاة تفصل تلقائيا من المدرسة اذا اكتشفت ادارة المدرسة انها حامل ·· أما الآن فقد توقف هذا الاجراء ·· وأصبح شيئا عاديا جدا أن نجد الطالبة المراهقة الصغيرة تدخل الى المدرسة وهى تسند كتبها الدراسية الى بطنها المنتفخة أمامها ·

ولذلك لم أندهش مطلقا عندما علمت أنه وفى خلال سنوات السبعينيات ارتفع معدل عدد الفتيات غير المتزوجات من المراهقات اللاتى يمارسن الجنس فى السن من خمسة عشر عاما حتى تسعة عشر عاما بمعدل الثلثين !!

بل ان الزيادة الرهيبة حدثت فى السن ما بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة حيث زادت النسبة بمقدار الضعف !!

ان ممارسة الجنس فى سن المراهقة تنتشر هنا بشكل مذهل وخطير كما انها تبدأ مبكرا جدا ·· ويمكنك أن تلحظ هذا من مجرد مراقبة المراهقين والمراهقات فى الشارع ·· فانت تدرك منذ الوهلة الأولى ·· ان الكلمات واللمسات الرقيقة التى يمكن أن

تجمع بين طفل وطفلة فى هـذه السن بينهما مشاعر من نوع خاص قد اختفت تماما ٠٠ فالعلاقة الخاصة تقفز مباشرة وبسرعة الى ممارسة الجنس حتى لو كانوا مازالوا أطفـالا لم يتعدوا العاشرة الا بسنوات قليـلة ٠٠ والحرية متوفرة ٠٠ والامكانيـات متوفرة والمجتمع لا يمانع ٠

قلت لاحدى الأمريكيات المهتمات بدراسة المشاكل الاجتماعية حيث انها تدرسها كدراسات عليا بجامعة شيكاغو ٠٠ لـماذا يحدث هـذا ؟ ٠٠ لـماذا تصـل علاقات المراهقين الى ممـارسة الحب والعلاقة الكاملة فى سن شديدة الصغر ؟ وبسرعة الصاروخ ٠٠ ابتسمت وهى تهز رأسها وقالت لى « نحن نعيش فى مجتمع تأخر فيه الزواج وانجاب الأطفال ٠٠ مجتمع تنتشر فيه العلاقات الخاصة وهى أيضا مقبولة ٠٠ مجتمع كل المحيطين بك فيه يمجدون الشباب والجنس » !

لذلك لم يكن عجيبا أن أعرف أن هناكحوالى سبعة ملايين شاب مراهق وخمسة ملايين فتاة مراهقة يمارسون الجنس ٠

وفى المتوسط يبدأ المراهق أو المراهقة فى ممارسة الجنس فى حوالى سن السادسة عشرة !! ورغم انه سن مبكر جدا ٠٠ الا انه المتوسط فقط ٠٠ فالكثيرون يبدأون قبل هـذا بكثير يبدأون فى سن الحادية عشرة والثانية عشرة !

ويبدو أن مطاردة المجتمع وعنصريته تتسبب أيضا فى أن يحدث هـذا وأن يحدث مبكرا جدا أيضا ٠٠ فبينما تبدأ الفتاة البيضاء فى ممارسة الجنس بعد السـادسة عشرة ـ فى المتوسـط ـ تبدأ الفتاة السـوداء قبلها فى الخـامسة عشرة من عمرها ٠٠ وهـذا أيضا فى المتوسط وكثيرا ما تبدأ كلتاهما فى الممارسة قبل هـذا بسـنوات !

ولم أعرف السبب وراء هـذا ·· هل هو مزيد من التحدى الذى مازال يحمل العداء والاضطهاد للسود ·· ام انها الرغبة فى الاحتماء من هـذا العـداء ·· فتبدأ الفتـاة السـوداء حياتها الجنسية مبكرا عن زميلتها البيضاء !!

لكن المؤكد والذى تكفى نظرة واحـدة لادراكه ·· ونظرة واحدة الى المجتمع والى علاقاته الثنـائية ·· هو أنه لا الجنس الذى ينحدر منه الأمريكى أو الأمريكيـة ولا الحالة الاقتصـادية ومقدار ما يملكه من مال ورفاهية ولا مكان اقامته ولا شكل حياته ولا حتى ديانته تتدخل فى هـذا ·· فقد أصبح الجميع يتفق على شىء واحد ·· على الحرية مبكرا جدا ·· على الدخول فى علاقات خاصة بعد سن العاشرة ·· على ممارسة الحب فى الثانية عشرة !!

والنسبة غريبة وخطيرة فهناك ١٢ مليون مراهق فى الولايات المتحدة الأمريكية لهم نشاط جنسى !! بل اننا اذا أردنا أن نتصور مدى انتشار حرية ممـارسة الحب هنا يكفى أن أقول أن ثمـانية شبان من كل عشرة شبان مراهقين يمارسون الحب ·· ! وسـبعة فتيات من بين كل عشر فتيات مراهقات يمارسن الجنس ·

والمقصود بالمراهقة هنا أن هؤلاء الشبان والفتيات قد خاضوا تجربة ممارسة الحب قبل أن يبلغوا سن التاسعة عشرة ··!

١٢ مليونا من ٢٩ مليون شاب وفتاة بين سن الثالثة عشرة والتاسعة عشرة · مارسوا الحب · وتحولت دهشتى الى صـدمة عندما علمت ان ١٨٪ من الشبان و ٦٪ من الفتيات فيما بين سن الثالثة عشرة والرابعة عشرة قد مارسوا الجنس ·· وأقول اننى أصبت بصـدمة ان الشاب أو الفتاة فى هـذه السن يكون مازال طفلا تتفتح عيناه على الحياة ·· لكن هنا ·· تقتحمه الحياة ·· تشده ·· تأخذه ·· تغتصب منه طفولته ·· تسرق منه مراهقته بالتلويح والابهار بالحرية والتجربة ·· تجربة الكبار ! ·

ولم تعد المشكلة أو القضية المثارة هى ممارسة الحب قبل الزواج ٠٠ فقد حسمت أمريكا هـذه المشكلة تقريبا فحوالى ٨٥٪ من شبابها وفتياتها مارسوا الجنسقبل الزواج ٠

وأصبحت أمريكا تناقش الآن ممارسة الأطفال للحب والجنس ٠٠ لانها أصبحت تواجه كثيرا ٠٠ وكثيرا جدا ٠٠ أطفالا صغارا بطونهم منتفخة ورؤوسم الصغيرة تبحث عن حل للمشكلة !!

والغريب حقا انه كلما ازدادت ملامح البراءة على وجـه الطفلة الحامل ٠٠ كلما كان حجم المشكلة أكبر ٠٠ لان هـذه الطفلة الصغيرة هى التى لا تدرك شيئا فقد ثبت فى بحث عن الحمل عند المراهقين قام به هنا معهد الان جوتماتشر للدراسات الاجتمـاعية انه لا توجد ولا حالة واحـدة بين ٣٠ر٠٠٠ فتاة حـامل لم يبلغن الخامسة عشرة قد قصدن أن يحملن ٠٠ ومن ٤٢٨ر٠٠٠ فتاة بين سن الخامسة عشرة والسابعة عشرة ٠٠ ٨٧٪ منهن حدث لهن الأمر مصادفة وبدون أى اعداد ٠٠ بل حتى بين ٦٨٥ فتاة حامل فى السن ما بين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة كانت هناك ٦٥٪ منهن لم يخططن للممارسة ٠٠ !!

ان نظرة واحدة للشابات هنا ٠٠ اللاتى لم يزلن فى دور الطفولة تعكس المشكلة ٠٠ وتعكس أن رقم ٥٥٤ر٠٠٠ وهو الرقم الذى وصل اليه الحمل فى فترة المراهقة رقم لا يدعو للدهشة أبدا ٠

شىء عادى لا يدعو للدهشة الشديدة ان تقف العروس لاتمام اجراءات الزواج وهى حامل تحمل جنينا يتحرك فى احشائها !

ولكن الغريب حقا انه فى الوقت الذى ازدادت فيه حـالات المواليد غير الشرعيين بين المراهقات فى خلال سـنوات السبعينيات كان هناك انخفـاض فى عدد العرائس الحوامل ٠٠ والسـبب أن هناك عددا قليلا يزداد قلة من المراهقين الذين يتزوجون لاعطاء

الشرعية لهـذا المولود القادم ! والذى يحدث فى أغلب الأحوال هنا أن الفتاة لا تجد أمامها سوى اختيارين أما أن تلجأ الى اجهاض الجنين أو تحتفظ بالطفل ليعيش معهــا دون زواج ! أو بمعنى أصح دون الحل التقليدى السعيد ٠٠ ربما لانها تشعر انها مازالت صغيرة جدا ٠٠ ربما لصغر سن صديقها ربما لاحجامه ٠٠ ربما لان الاثنين ـ وهـذا هو الغالب لا يعطيان علاقتهما معا كل هـذه الأهمية ولا ينويان لها الاستمرار ٠٠ ربما لانها كانت أولا وأخيرا لكل منهما مجرد تجربة مراهقة !!

والغريب حقا ان المرأة الناضجة تخشى تجربة الاجهاض ٠٠ ويصبح من العسـير تصـور تاثير مثل هـذه التجربة على طفلة صغيرة ٠٠ ومع ذلك فقد تضاعف عـدد حـالات الاجهـاض بين المراهقات فى الولايات المتحدة الأمريكية فيمـا بين عامى ١٩٧٣ و ١٩٧٨ فقد وصل عدد حالات الاجهاض بين المراهقات فى عام ١٩٧٨ الى ٤٣٤ر٠٠٠ مما يشكل حوالى ضعف عدد هـذه الحالات فى عام ١٩٧٣ !

ان الحرية الممنوحة هنا للصغار تفتك بهم أحيانا كثيرة ٠٠ فقد ثبت أن الصغيرات من المراهقـات هن الأكثر قابلية للتعرض للحمل ٠٠ وفى التعرض للاجهاض بل أيضا فى التعرض للاجهاض وهن فى أسابيع متأخرة من الحمل مما يعرضهن للمخاطرة بحياتهن ففى عام ١٩٧٨ ومن بين ١١ مليون حمل مراهقة انتهى معظمـه بالاجهاض ٠ لان معظم المراهقات يخترن الاجهاض بدلا من الحصول على طفل غير شرعى ٠ واللاتى لم يجهضن أنفسهن وظللن بدون زواج وصلت نسبتهن الى ٦٩٪ و ٣١٪ تزوجن ليعطين الطفل القادم صفة الشرعية ٠ والأرقام مذهلة وتثير الدهشة فحوالى ٧٨٠ر٠٠٠ فتـاة ٣٩٪ من مـليونى فتاة يتوقع أن يحملن بينمـا هن مـازلن فى سنوات المراهقة !

و ۰۰۰ ر٤٢٠ يتوقع أن تحمل على الأقل مرة واحـدة خلال مراهقتهن ! و ۰۰۰ر۳۰۰ يتوقع أن يحدث لهن الاجهاض على الأقل مرة واحدة !!

واذا كانت قسوة تجربة الاجهاض تجهد جسد ونفسية المراهقة الصغيرة الا أنها أحيانا ما تنقذ حياتها فى المستقبل ۰۰ وتنقذ عدد المواليد غير الشرعيين فى الولايات المتحدة الأمريكية من أن ينفجر وخاصة ان عدد هؤلاء الأطفال قد زاد ۰ فهناك الآن ۳ر۱ مليون طفل يعيشون من أمهات مراهقات وأكثر من نصفهن غير متزوجات ، هـذا بالاضـافة الى ٦ر١ مليون طفل تحت سن خمس سـنوات يعيشون مع أمهات كن مراهقات عندما ولدنهم ولم تكن أغـلبهن متزوجات !!

وكما تعيش بعض الدول ثورات صناعية أو ثورات زراعية أو ثورات ثقافية على مدى تاريخها الطويل ۰۰ عاشت الولايات المتحدة الأمريكية ثورة فى قوانين الاجهاض انتشرت فى عدد من الولايات الكبيرة فى عام ۱۹۷۰ ۰

وكسب الاجهاض شرعيته على مسـتوى الولايات المتحـدة الأمريكية كلها فى عام ۱۹۷۳ ۰۰ وتسببت ثورة الاجهاض هـذه فى انخفاض العدد الرهيب لمواليد المراهقـات غير المتزوجـات فى الولايات المتحدة الأمريكية ۰ ثم عـاد معـدل هؤلاء المواليد الى الارتفاع فى نهاية السبعينيات مع انخفاض عدد المراهقات اللاتى يتزوجن بعد أن يحملن بحثا عن الشرعية ۰۰ فقد أصبح التمسك بالحرية أكثر ۰۰ والتطـلـع الى مزيد من الطموحـات أزيد ۰۰ والرغبة فى الزواج وقيوده أقل ۰۰ حتى لو كان هناك جنين يتحرك فى الأحشاء ۰

والسؤال الذى لابد أن يشغلك وانت تراقب كل هـذا : أين يكون الآباء وأطفالهم يمرون بتجربة ممـارسة الحب والاجهـاض والولادة !!

في أحد الأبحاث. التي أجريت ·· سئلت احدى المراهقات الحوامل لماذا لم تلجأ الى أحد مراكز تنظيم الأسرة للمساعدة قالت « لقد كنت أخاف أن تكتشف عائلتي أن أنا ذهبت » وقالت فتاة أخرى ·· « لم أفكر في اللجوء الى هذه المراكز للحصول على المساعدة واستعمال الموانع ·· لانني كنت أنتظر حتى تستقر علاقتي مع صديقي » لكن اكثر من نصف المراهقات اللاتي يزرن هذه المراكز أو العيادات قلن انهن اخبرن اباءهن وأمهاتهن قبل أن يحضرن !! بل أن خمس هذا العدد من الفتيات جئن الى العيادات بناء على اقتراح والديهن !!

والغريب أن الفتاة الأمريكية كلما كانت أصغر كلما لجأت الى أخبار أهلها فحوالى ٦٦٪ حتى سن خمسة عشر عاما أو أقل قالوا لوالديهن ·· والبنت لا تخبر عائلتها بذهابها لعيادات تنظيم الأسرة فقد بل باقدامها على الاجهاض أيضا ·· وخاصة وأن عدد كبير من هؤلاء الفتيات يكن عاجزات عن دفع ثمن عملية الاجهاض وهن يعتمدن أما على الصديق أو على آبائهن في دفع الثمن ·

ومن تفشل في الاجهاض تواجه تجربة أقسى وأصعب وهي تجربة الاحتفاظ بالطفل معها وتربيته !! لتصبح طفلة تربي طفلا !!

ورغم أن هذا الطفل يأتي بدون ارادة أمه الطفلة الا انه يحدث نادرا أن تعطى الأم المراهقة ابنها للتبني أو لرعاية الأقارب فحوالى ٩٠٪ من المراهقات البيض غير المتزوجات وتقريبا كل الأمهات من السود يحتفظن بأطفالهن في بيوت تعاني من مشاكل قاسية ·

فهؤلاء الأطفال الذين يولدون لأمهات مراهقات يتعرضون للموت في عامهم الأول واذا عاشوا ·· يعيشون ليعانوا ظروفا صعبة قاسية ·· فبعد أن تلد الأم تضطر الى التوقف عن التعليم

نظرا لظروفها الجديدة وتصبح غير قادرة على اكتساب المواهب التى تؤهلها للحصول على وظيفة جيدة ، ويتسبب ذلك فى انخفاض دخلها بشكل ملحوظ ٠٠ هـذا الى جانب عدم وجود أب فى الأسرة يشارك بدخله فيصبح دخل الأسرة الصغيرة منخفضا جدا ٠٠ فأغلبية الأمهات المراهقات لم يحصلن أبدا حتى على شهادة المدرسة العليا (الهاى سكول) وهناك فى أمريكا الرفاهية والتكنولوجيا حوالى ٦٠٠ر٠٠٠ أسرة لديها أطفال أقل من سن الخمس سنوات تديرها أمهات مراهقات ٠٠ ثلث الأسر تعيش فى ظروف فقر مدقع ينخفض بحدة عن مستوى الفقر الذى تقدره الحكومة رسميا لاطلاق لفظ « فقيرة » على أى أسرة ٠

والغريب أن الأطفال الذين يولدون لآباء وأمهات مراهقين يكونون أكثر عرضة من غيرهم لتكرار التجربة والحصول على أطفال وهم مازالوا أطفالا أو مراهقين صغارا ٠

فقد أثبتت الدراسات أنه حتى بين الأمهات اللاتى أصبحن أمهات وهن أقل من سن سبعة عشر عاما ٢٢٪ على الأقل أحد أبويهن حصل على طفل وهو مازال مراهقا !!

وتعيش المراهقة الأم الصغيرة تعانى من ضعف الطفل وضعف ظروفها ٠٠ وحتى اذا عاشت مع صديقها تكون ظروفهما معا سيئة لانهما يعانيان معا من نفس المشاكل التى تأتى مبكرا قبل أن يستعدا لها ٠٠ وحتى اذا تزوجا فانهم يكونون أكثر عرضة للانفصال أو الطلاق من غيرهم ٠

والحل الذى تبحث عنه الحكومة والهيئات الأمريكية ٠٠ موجـود فى انتشار وسائل وعيادات منع الحمل والاجهاض ٠

والحل الذى يبحث عنــه الآباء موجــود فى رغبتهم فى أن يشاركوا فى تعليم أطفالهم المزيد عن الجنس لكنهم يكتشفون انهم غير مدربين أو مؤهلين لذلك ٠

وتبقى الحرية لتجتاح المجتمع الأمريكى ٠٠ وتعطى المتعة لكباره وتسلب مراهقيه وأطفاله أحلى سنوات العمر ٠٠ سنوات المراهقة ٠٠ سنوات الحلم ٠٠ سنوات الاكتشاف !

● ● ●

الخاطبة
على
الطريقة الأمريكية



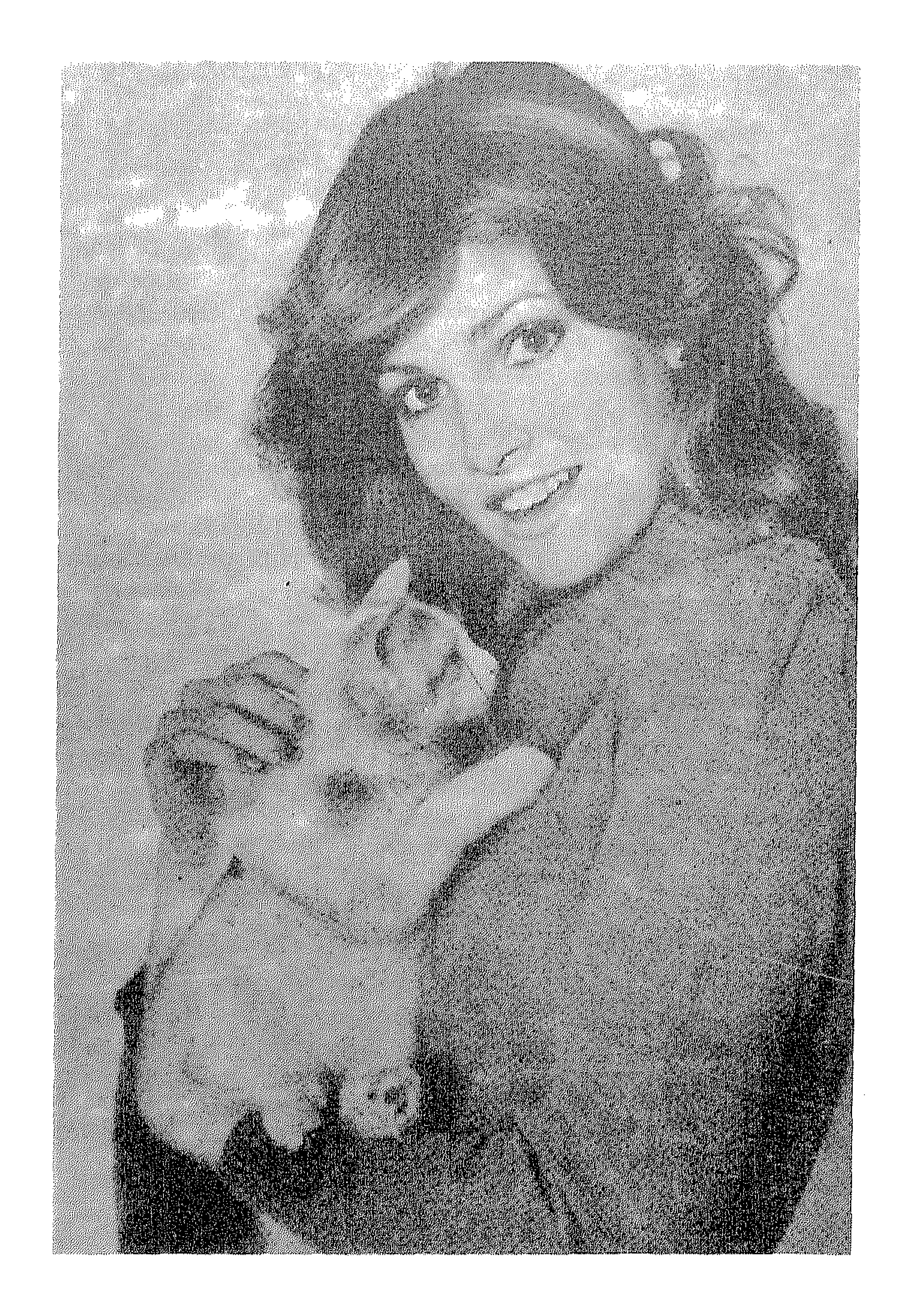
المراهقه الحامل صورة عادية فى المدارس الأمريكية



الام المراهقة غالبا تحتفظ بطفلها



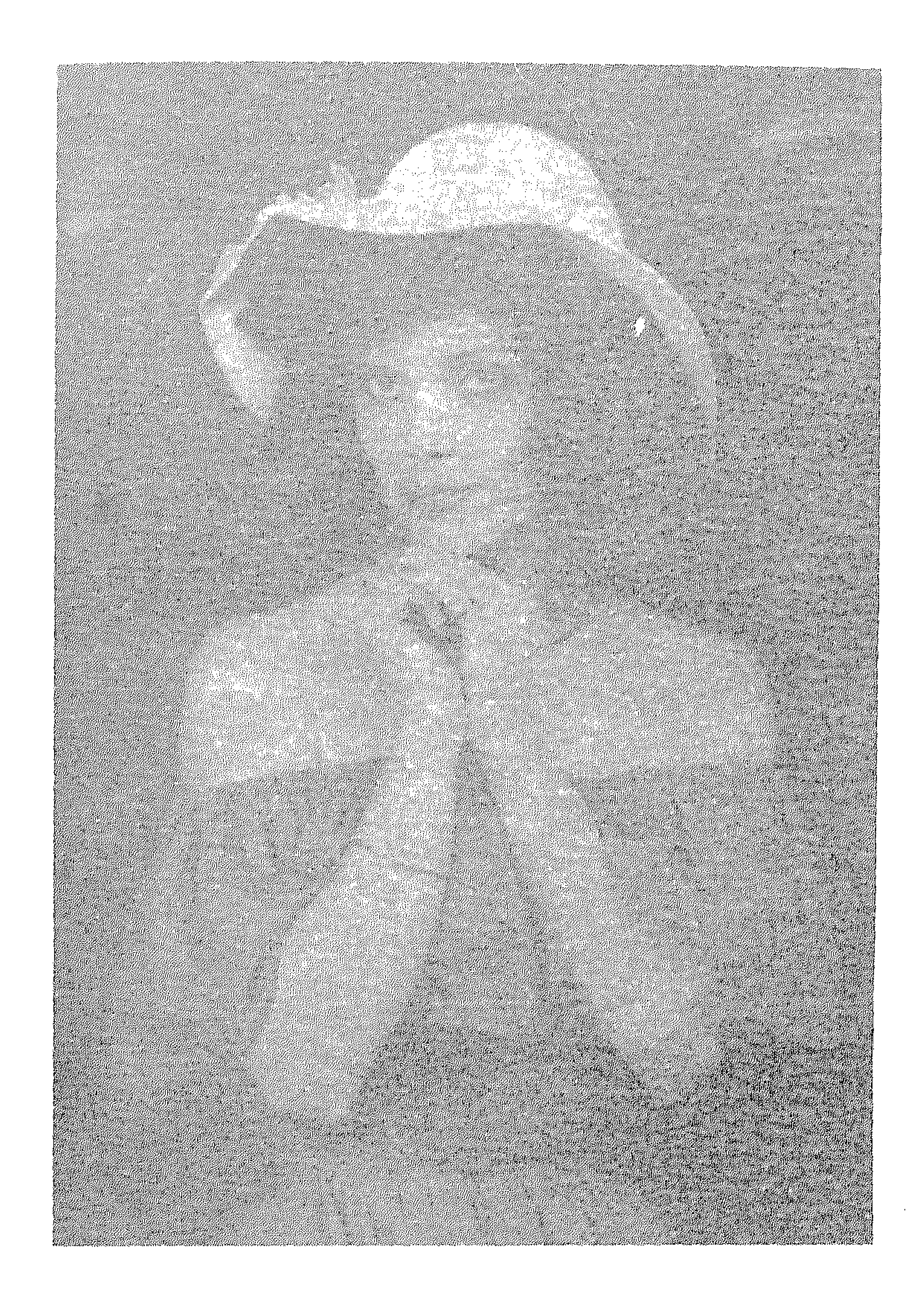
طفلة تربي طفلا



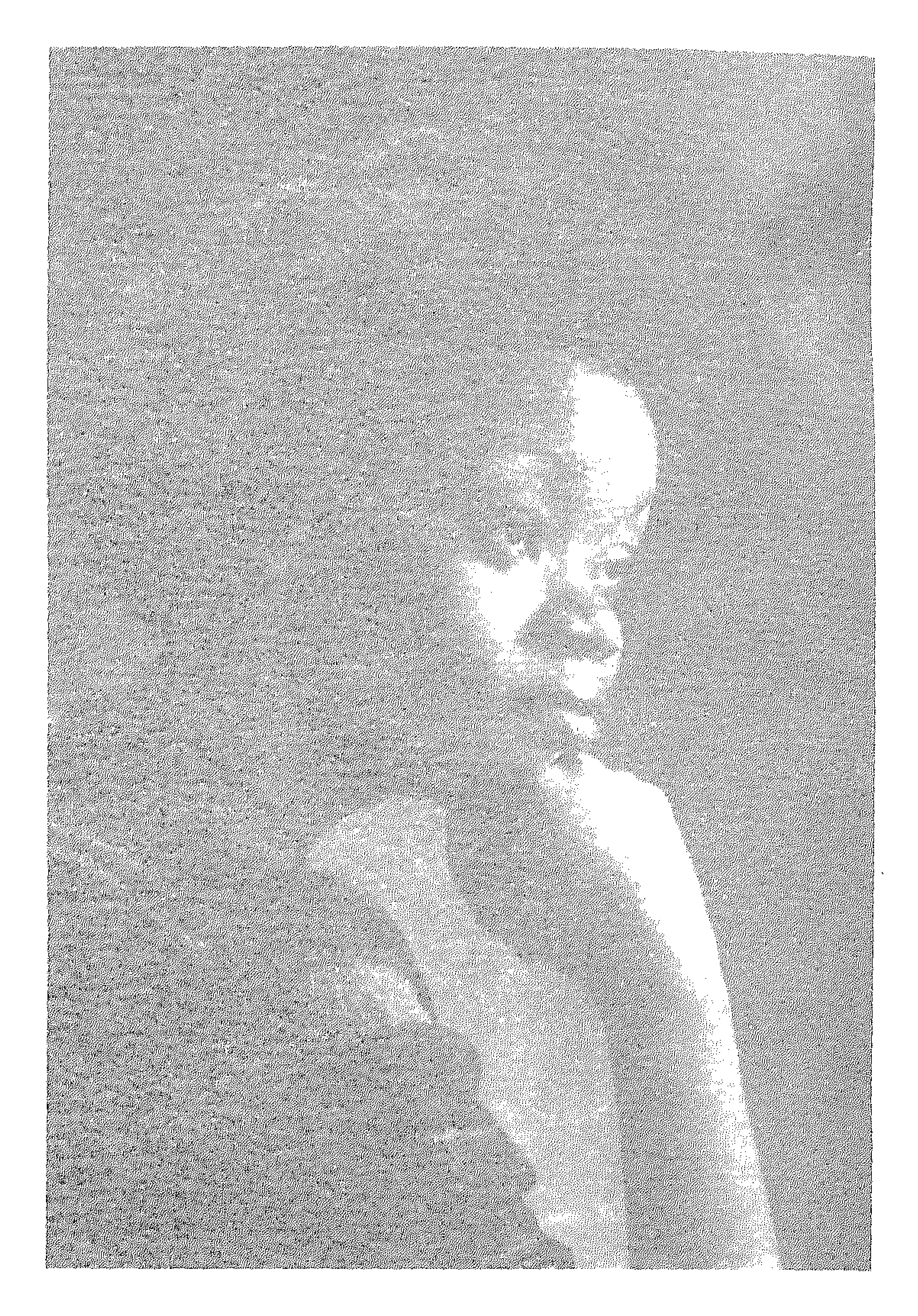
كارين ـ موديل



جولی کان ـ مانیکان ۲۷ سنه



شيك سيكوليلو ـ سحر وانوثة الجنوب



يووندا طالبة تعزف على الفلوت

● فى أمريكا خـاطبة ·· لا ترتدى الملاية اللف والمنـديل أبو أوية ·· خاطبة من خلال الكتب الأنيقة والكومبيوتر ·· ودببة تحقق أحلامك ·· ومنظمات تدير أنشطة لتوفق رأسين فى الحلال ·· والكل يبحث عن لحظة دفء وسط صـقيع العـلاقات الانسـانية هنـا !

والمثل الشـعبى المصرى الذى يقول ·· « اللى يعيش ياما يشوف واللى يمشى يشوف أكتر » ·

هـذا المثل ينطبق على أمريكـا ، فأنت كلمـا عشـت بهـا ترى الكثير واذا تجولت فيها ترى أكثر ·

كان اليوم يوم السبت ·· وكنت أنتظر يوم الأجـازة تمـاما كأطفال المدارس لانام بضع ساعات قليلة زائدة ·· ولأجـد الفرصة للنزول الى « وسـط البلد » فى مـدينة شـيكاغو ذات الشـهرة العـالمية ·

ومن أجمل الأماكن التى يمكن أن تزورها فى مدينة شيكاغو ·· مبنى « الووتر تاور » أو برج المياه ·· وهو يجاور المبنى الأصلى

الحجرى القديم والذى تبقى وحده من الحريق الكبير الذى أطاح بمدينة شيكاغو ذات يوم وتركها رمادا ·· وبقى المبنى القديم بأحجاره الكبيرة شاهدا على أسلوب البناء فى الماضى ، أما المبنى الحيث فلم يأخذ من القديم سوى اسمه ·· فهو بحق قمة تكنولوجيا البناء ·· وهو عبارة عن مركز للشراء به مئات المحلات ·· وفى مدخله تندفع المياه فى شلالات صناعية تحيط بها النباتات الخضراء من كل جانب وتخترقها السلالم المتحركة ·

ان التجول فى المبنى الضخم يعطيك متعة من نوع جديد ·· متعة يضفيها عليك احساسك أنك تعيش محاطا بأرقى ما وصلت اليه مدينة القرن الحادى والعشرين ·· وفى أعلى المبنى الضخم دخلت الى محل صغير لبيع الهدايا « جفت شوب » تجولت بين اللعب والنماذج الصغيرة التى ترمز الى أشهر ما فى شيكاغو لاحملها معى كذكرى للمدينة الأمريكية الضخمة ·· وبين كل هذه اللعب والنماذج التى يصل عددها الى المئات ·· وجدت كتابا يحمل عنوانا غريبا على غلافه ·· « دليل الرجل الى النساء العازبات فى شيكاغو » !

وتعجبت ·· ماذا يعنى هذا العنوان ·· وما ذا يضم هذا الكتاب ·· هل يبيع نساء شيكاغو الى سياحها ·· كان هذا هو تصورى الأول لما يمكن أن يحويه الكتاب وخاصة أنه يباع فى محل للهدايا التذكارية ·· زبائنه عادة من السياح ·· ودفعنى فضولى الى التضحية ببضعة دولارات لشراء هذا الكتاب ، الذى قلب كل تصوراتى عن المجتمع الأمريكى رأسا على عقب ·

آخر ما كان يمكن أن أتصوره أن أرى أمريكيا أو أمريكية يمكن أن يجد صعوبة فى لقاء الطرف الآخر الذى يمكن أن يقيم معه علاقة ·· آخر ما كان يمكن أن أتصوره أن هذه الصعوبة قد تدفع البعض الى اللجوء « للخاطبة » لحل المشكلة ·· وان كانت « خاطبة » من نوع جديد ·· « خاطبة » على الطريقة الأمريكية ··

فبدلا من بنت البلد التقليدية بملايتها اللف والمنديل أبو أويه ٠٠ منظمة خطيرة يديرها أفراد ولهم مقر رسمى وتعقد اجتماعات وتنظم نشاطات ٠٠ وبدلا من صور العرائس التقليدية التى تحملها الخاطبة دائما فى صدرها ٠٠ كتب أنيقة تصدر وهى تحمل صور النساء العازبات وكل المعلومات عنهن ٠٠ بل وأكثر من هذا ٠

كتب عن الرجال العزاب أيضا !

فقد اكتشفت أن هذا الكتاب ليس الأول فى السلسلة ٠٠ وأن ناشره سبق أن أصدر كتابا يحمل عنوان « دليل المرأة الى الرجال العزاب فى شيكاغو » !

والأغرب من هذا حقا أن كتاب « دليل الرجال الى النساء العازبات فى شيكاغو » والذى يضم صورا ومعلومات عن ١٥٠ من نساء شيكاغو العازبات ٠٠ لا يقدم أى امرأة عازبة فى شيكاغو ٠٠ بل هو يقدم أعلى مستوى للمرأة الناجحة صاحبة الشخصية الفريدة والمواهب المتميزة والهوايات العديدة فى شيكاغو أى أن هؤلاء المائة والخمسين امرأة لسن سوى النتيجة النهائية لتصفية متعددة المراحل خضعت للعديد من الشروط والاختبارات لاختيار المرأة العازبة المثالية فى شيكاغو ٠٠ وهذا مما يزيد الامر غرابة فى نظرى ٠٠ فكيف تلجأ امرأة ناجحة قوية الشخصية متميزة الى هذه الطريقة للبحث عن علاقة عاطفية ؟!

والكتاب لم يكتبه كاتب بمفرده قام بتجميع المعلومات عن المائة والخمسين سيدة وتقديمهن ٠٠ بل قام باعداده مجموعة عمل مكونة من أحد عشر شخصا بذلوا مجهودا ضخما فى استقبال استمارات الطلبات وفرزها لاعداد مادة الكتاب ٠٠ ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن المادة المجموعة فى النهاية خضعت لتحليل كاتب حاصل على الماجستير فى الارشاد والاستشارة ومحلل شخصيات معترف به ٠٠ قام بدراسة شخصية كل امرأة عن طريق دراسة خط يدها !

وقد قامت مجمـوعة العمل الكبيرة بتقدير كل طلب مقـدم على حدة على أساس ما أنجزته المرأة فى حياتها وما هى خططها للمستقبل ؟ وما هى مشاعرها نحو الرجل ؟ وقد طلب من أعضاء مجموعة العمل أن يقوموا بوضع تقدير رقمى لكل طلب مقدم ·· فحصل كل طلب على نمرة من عشرة ·· ثم وضـعت الجـداول النهائية فى الحاسب الالكترونى « الكومبيوتر » الذى قدم النساء اللواتى حصلن على أعلى تقدير ·· وهن النساء اللاتى يتضمنهن هـذا الكتاب ·

ولم يكن لدى مجموعة العمل هـذه أى فكرة عن مظهر ودرجة جمال النساء ·· فلم يشاهدوا أى صور لهن ·· والسبب فى هـذا كما يقول كاتب الكتاب وهو أيضا ناشره ·· « لم أكن أريد كتابا للموديلات ·· ولكن كتابا عن النساء المثاليات ·· عن طريق تقدير المرأةمن خلال نجاحها واتجاهاتها فى الحياة وخططها للمستقبل ·· وقد شعرت ان هـذه المميزات يمكن أن تكون أكثر تأثيرا عن ميزة سطحية لمجرد وجه جميل » وهو أيضـا يقول أنه لم يذكر فى أى مكان من الطلب المقدم من السيدة كمية الدولارات « فلم أكن أريد أن يكون المـال أو الغنى عاملا مؤثرا فى الاختيار أيضا فأنا أعتقد أن النساء الجميلات يملكن الثروة فى أشياء أخرى ·· وأنا أقصد ·· ثروة النفس » ·

وبعد اجراء التصفية ·· بالأرقام والكومبيوتر وبعد دراسة خط اليد لمعرفة الشخصية ·· قام ثلاثة أشخاص بمراجعة صور من تم اختيارهن بعد التصفية ، وأحـد هؤلاء الثلاثة عضـو فى بوليس الآداب بشرطة شيكاغو ! ويقول الكاتب عن هـذا ·· لكى أضمن أن كتابى لن يتضمن سوى أرفع السـيدات مستوى وكفاءة وأخلاقا · ولقد شكل الكاتب والناشر فى كتابه الأول عن الرجال العزاب فى شيكاغو وكتابه الثانى عن النسـاء العـازبات عالمـا اسماه « مابيت » ومعناها أكثر عازب ـ أو عازبة ـ مناسبة فى المدينة ·· وقد تحول « ما بيت » الى عالم حتى ان الكتاب يعلن

عن بيع دببة تحمل هـذا الأسم فى المحلات ·· ويقول عنها « انها اول منتجات هـذا العـالم وأنكل فرد سـوف يحتـاج الى دببـة « مابيت » لأنها ــ كما قالت لى ــ سوف تحقق أحلامك !

وهكذا وعلى الطريقة الأمريكانى يخلقون أى شىء ويبيعونه لك ليحصلوا على دولاراتك ·

ولا يقدم الكتاب هـذه الدببة التى تحقق أحلامك فقط لكنـه أيضا يقدم جمعيات أى منظمات العزاب فى الكتاب الأول ، دليل المرأة للرجال العزاب فى شيكاغو قدم الناشر الى القراء الجمعية القومية للعزاب ·· وفى االكتاب الثانى ·· دليل الرجل للنسـاء العازبات فى شيكاغو يقدم الناشر الى القراء جمعية أخرى للعزاب المهنيين والأكثر نجاحا وطموحا وهى تحمل اسم « من شخص الى شخص » ويطلقون عليها أيضا « الحل النهائى » أو الحل الأخير وهى جمعية قاصرة على العزاب وتخدم بشكل أسـاسى المهنيين الناجحين الطموحين ·· وتنظم نشـاطات اجتماعية شـهرية ·· ولقاءات بين العزاب الناجحين الجذابين الذين لديهم الرغبـة فى مقابلة شخص عازب صاحب مهنة وله نفس الاهتمامات ولاشـتراك عضو فى هـذه الجمعية يشترط أن يكون الشـخص صاحب مهنة وأن يكون قد حقق مستوى معينا من النجـاح وأن يكون جـذابا ذا شخصية وعقل راجح ·· والجمعية يمكن أن تقبل شخصا خجولا الى حد ما لكنها لا تقبل شخصا يختبىء فى ركن · وهـذه الجمعية تقوم بنشاطها لتوفير فرصة مقابلة الآخرين ــ من العزاب ــ أيضا للذين ليست لديهم سوى فرصة محدودة لمقـابلة عزاب على نفس مستواهم بسبب دواعى السفر الكثير ومواعيد العمل الكثيرة ·

ولزيادة عدد أعضـائها تنشر الجمعيـة اعلانات فى جرائد شيكاغو وخاصة المتخصصة مثل مجلة رجال الأعمال والمحامين · ويتقدم الفرد لمكتب الجمعية حيث يسأل بعض الأسئلة واذا وجد أن الفرد يناسب نوع الرجل الناجح أو المرأة الناجحة الذى تفضله

الجمعية يدعى للاشتراك فى الجمعية ·· وبهـذه الطريقة جمعت المنظمة ٣٠٠ عضو بتسلم كل منهم نشرة أخبار شهرية تتضمن قائمة بالنشاطات التى ستنظمها الجمعية خلال الشهر ·

وهناك حوالى خمسة أو ستة نشاطات على الأقل خلال الشهر كثير منها يمنح مجانا للأعضاء وهـذه النشاطات يمكن أن تكون نزهة فى قارب أو لعب التنس أو بوفيه فى نادى بوسط المدينة أو كوكتيل فى أحد الأماكن الراقية بالمدينة · وعنـدما يعتقـد أحـد العاملين فى الجمعية أن سيدة ما يمكن أن تعجب برجل ما ·· يتم الاتصال بكل منهما لمعرفة اذا ما كان هناك اهتمام متبادل ·· واذا تبين ذلك يعطى أحدهما رقم تليفونه للآخر ويتوقف دور الجمعية عند هـذا الحد ·· وهناك أشخاص أصبحوا سعداء بمن اختاروهم ·· فهناك اثنان تزوجا أخيرا ·· وأربعة فى مرحلة الخطوبة !

أعضاء هـذه الجمعية محامون ورجال بنوك ورجال أعمال وأطبـاء ومديرون وأصـغر عضـو عمره خمسة وعشرون عـاما وأكبرهم فى السابعة والخمسين من عمره ·· أما الغالبية منهم فى السن ما بين الثلاثين والخـامسة والأربعين ويدفع العضـو ٣٥٠ دولار للانضمام للجمعية ·

والسؤال الذى ظل يشغلنى هو : لمـاذا يلجأ هؤلاء الأعضاء لهـذه الطريقة ·· رغم انهم يعيشون فى بلاد تسمح بحرية العلاقة وتتيحها بل وترحب بها ·· وخاصة أن هؤلاء يعملون وفى مجالات مفتوحة ؟

ويعلق على هـذا كثير من أعضاء الجمعية فى أنهم يرون أن هذه الطريقة أفضل من محاولة مقابلة شخص واحد فى أحد المتاجر أو الجلوس فى بار ·

واذا كانت جمعية العزاب والعازبات تبدو شيئا غريبا فى بلد مثل أمريكا ·· فان وجود كتاب يعرض العازبات شـيئا أغرب ،

ويقول كاتب وناشر الكتاب « ان وظيفة هـذا الكتاب الرئيسية هى تعريف العازبات الناجحات اللاتى يقمن فى شيكاغو ٠٠ وأن تنسجم مع واحـدة من هؤلاء النسـاء يعد احـدى الوظائف التى يتضمنها الكتاب ٠ لكننى لا أضمن لأى شخص انه سيقابل « الآنسة المناسبة » له فلا أحد يعلم مـا الذى يمكن أن يحـدث ٠ لكنك اذا حصلت على الفرصة لتنمى صداقة جيدة ونظيفة ومستمرة كنتيجة لكتابى فانها بالقطع تستحق ثمن الكتاب » !

وقبـل أن يبدأ الكتـاب فى اسـتعراض النسـاء اللاتى تم اختيارهن واللاتى يصفهن الكاتب بانهن ناجحات طموحات يتمتعن بالدفء والحساسية والتعاطف والفهم والذكاء والسحر والأناقة والشخصية والقابلية للمتعة والمغامرات ولديهن قدر كبير من الثقة بالنفس ٠٠ يؤكد الكاتب على ضرورة أن يراعى من يريد من الرجال الاتصال بواحدة من هؤلاء النساء أن يرسل لها صورته « لانه من العدل أن يحصلن على ما حصلت عليه » ٠

من هن هؤلاء النساء ٠٠ اللاتى وصـلن الى أعلى درجات النجـاح والشخصية واللاتى يقول الكـاتب عند تقـديمهن « لقد اكتشفت عند اعداد هـذا الكتاب وبشكل مؤكد انه كلما كان الشخص ناجـحا سواء كان رجلا أو امرأة كلمـا كان صـعبا على هـذا الشخص أن يقابل شخصا على نفس مستواه المهنى » وكأنه يجيب على تساؤلى كيف يحدث هـذا فى أمريكا ٠٠ بلد الحرية والعلاقات المفتوحة ٠٠ ورغم هـذا فمازلت أحتفظ بدهشتى ٠

مرة أخرى من هن هؤلاء النساء ؟

« باتريشيا أرنولد » ٣٤ سنة ٠٠ كاتبة ومعدة بالتليفزيون ٠٠ تلعب التنس وتحب الرقص والشراء وأم لطفلة فى السابعة من عمرها تطلب رجلا ٠٠ له يد مشجعه وكتف مريحة وقلب دافىء ٠٠ رجل يشعرها انها مطلوبة ٠٠ ويمكن أن يكون أفضل صـديق لها

.. وسوف يكتشف أن هناك قليلا من النســاء اللاتى يمكنهن أن يبذلن جهدا أكثر منها لجعله سعيدا » !

بل أن أحداهن وهى « باربرا » ٤١ سنة مديرة لثلاث شركات تملكها ! ولها طفل عمره ثمانى سنوات وطفلة عمرها عشر سنوات .. وتقول عن نفسها انها تحب الموسـيقى والرقص والكوكـاكولا والطهى بشهية والشواطىء والقوارب والسباحة والتزحلق على المـاء .. وزارت اليابان وهونج كونج والجزر اليونانية وهاواى ودول البحر الكاريبى .

هـذه المرأة صاحبة كل هـذه التجربة العريضـة تقول عن الرجل المثالى فى نظرها .. « رجل يشاركها مشاعرها .. مسئول .. متحرك .. قارىء جيد .. يكسب جيدا وعاطفى ساخن ! » .

والغريب ان معظم هؤلاء النساء رأين ان الرجل المثالى يجب أن يكون عاطفيا رومانسيا ـ بل ان احداهن وهى « سوزان بلسن » ٢٣ سنة وهى مدير عام باحدى الشركات الكبيرة فى شيكاغو .. تقول انها تؤمن بفلسفة أن المرأة لكى تصبح لديها القدرة على حب شخص ما .. يجب عليهاأن تدرك أنه يمكنها أن تعيش بمفردها .. ولقد استطعت أن أحيا وأن أتعلم وأن أحقق أهدافى وأنا ما أزال أعيش الحياة حتى منتهاها .

وترى سوزان أن يكون الرجل المثالى رومانسيا على طريقة الموضة القديمـة ، وهى تقول عن لجوئها لهـذه الطـريقة .. أنا لا أستطيع أن أشترك فى ألعاب العزاب التى تلعب فى البارات !

والنساء اللاتى يضمهن الكتاب يقدمن حقا نموذجا لانجح النساء .. منهن برندا بايلون طبيبة اسنان .. حاصلة على ست درجات علمية فى الموسيقى والفن وصحة الاسنان والبيولوجى .. وقد حصلت على منحة الفتاة الأمريكية المثالية والتى مولت معظم دراسـاتها بعـد التخـرج .. وقد قـامت بتدريس الرقص والفن

بالجامعة ·· وهى أيضا تمارس الرسم وأقامت عدة معارض فنية فى مناطق متفرقة فى الوسط الغربى للولايات المتحدة الأمريكية ·
وهى تمارس الآن طب الأسنان ·· وتقضى وقت فراغها فى الاستمتاع بممارسة الفن والموسيقى ·

كل ذلك وعمرها لا يتعدى التاسعة والعشرين !

والغريب أن الكتاب يضم نساء مازلن صغيرات جدا على اللجوء الى الخاطبة الأمريكانى حتى لو كان كاتب الكتاب وناشره يصر على أنه تعريف بالعازبات الناجحات ·· الا أنه من المؤكد أن مهمته هى توفيق رأسين فى الحلال مثل أى خاطبة ·

يضم الكتاب « كارين بلونازيك » وتعمل موديل وعمرها عشرون عاما فقط ! تحب الرقص والموسيقى وتحصل على دروس فى الباليه والرياضة وتنوى أن تنهى دراستها بعد أن تحصل على درجة علمية فى علم النفس وتحب الحيوانات خصوصا القطط !

« وجينا · ك » وهى طالبة وموديل وعمرها لا يتعدى الثانية والعشرين · وتنوى أن تعمل بتدريس الرقص للأطفال المعوقين بعد أن تحصل على درجتها العلمية فى العلاج بواسطة الرقص ·

و « يوواندا » وعمرها لا يتعدى الثالثة والعشرين وتدرس ادارة الأعمال واللغة الفرنسية بالجامعة ·· وسافرت كثيرا الى الخارج وتحلم بتكملة تجوالها حول العالم بعد انتهائها من دراستها وتخرجها · كما أنها تشارك فى فرقة سيمفونية حيث تقوم بالعزف على الفلوت وان ترحل الى تكاس أو كاليفورنيا ·

والعازبات الناجحات اللاتى يتضمنهن الكتاب يعكسن شيئا هاما وهو أن المرأة الأمريكية عندما تنجح فى حياتها فانها أيضا

تكون متعددة المواهب والاهتمامات ·· تدرس فى الجامعة وتعمل موديل مساعدة طبيب أسنان وتدرس الفن والرقص بالجامعة ·

وهى أيضا تقوم بأعمال جديدة على المرأة ·· مثل « جيليان » ٣٠ سنة وهى مندوب مبيعات متخصصة فى تسويق النبيذ سمح لها عملها بالسفر الى جميع الدول عبر العالم ·· ترسم وتقرأ وتعزف على الجيتار وتحيك الملابس وتذهب للنادى الصحى لممارسة الرياضة · وهى تقول عن نفسها انها تحب العشاء على ضوء الشموع مع صحبة جيدة ونبيذ جيد بالطبع ثم الرقص بعد ذلك ·· وتحب قضاء بعد الظهر فى حديقة الحيوانات أو فى متحف أو فى نزهة خلوية فى البحيرة ·· وتحب الملابس النسائية بحدة ·

و « لو سريزيا » تؤكد أن المرأة الأمريكية عندما تكون ناجحة يكون لديها العديد من النشاطات وليس عملها وحده ·· فهى فى الأربعين من عمرها وأم لصبى فى السابعة عشرة وفتاة فى الحادية عشرة وهى صاحبة ومديرة شركة وعضو فى مسرح شوبيرت ومجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية ومتحف الفن بشيكاغو ·· كما انها تحب الموسيقى وتلعب التنس !

هل تكون كل هذه النشاطات هى التى تأكل وقت المرأة الناجحة وتمنعها من فرصة اقامة علاقة مع رجل يشاركها أيامها ويقاسمها لياليها ؟ !

هذا هو ما تقوله « سيانا » ٣٢ سنة وهى تقدم نفسها ·· وهى تعمل مصممة أزياء ومستشارة للموضة ·· وتقول ·· « أعتقد ان السبب فى أننى لست مرتبطة بمواعيد عاطفية الآن هو اننى أتحمل جهدا وضغطا كبيرين كمستشارة للموضة ومصممة للأزياء ، وأنا أريد أن أصل لأن أعمل لنفسى ولاسمى ، وأن أصبح غنية وأن أعتمد على نفسى دون أى صعوبة ·· وهذا هو أحد الأهداف التى سوف أحققها عن طريق خلق الجمال والمتعة للآخرين ·· وهى ترى أن فارس أحلامها أى رجلها المثالى يجب أن يكون قوى الشخصية

عقله كبير ·· فاهم ··مهتم ·· يقبل حيويتى وشخصيتى وطريقة حياتى !

بل ان بعض هؤلاء العازبات الناجحات طلبن شروطا غريبة فى الرجل المثالى ، فمثلا « شيك سيكوليك » ٢٩ سنة وتعمل مديرة تسويق وهى من أهل الجنوب الأمريكى ·· من لويس فيل « كينتوكى » ·· تملك سحر وأنوثة الجنوب لكن ـ كما يقول الكتاب ـ خلف هذه العيون الايطالية سيدة ذكية حيوية تريد أن تجرب كل ما فى الحياة ·

وتقول عن رجلها المناسب ·· أن يكون واثقا من نفسه ومن اتجاهه فى الحياة ·· وان يستمتع بالقيام ببعض الأعمال المجنونة الى حد معقول والا يدخن !

أما « آلين » ٣٥ سنة ·· وهى مستشارة وصاحبة شركة للسفر ·· فتطلب أن يكون الرجل ذا طول محدد بالبوصة وان يكون رشيقا حتى يستطيع لمس أصابع قدميه وأن يمتلك حسا فكاهيا ومظهرا جذابا ليصبح رجلها المناسب ·

وتتوالى النساء ·· كل منهن رمز لنجاح ما ·· كل منهن تبحث عن الدفء ·· نماذج عديدة : مدرسة ·· مديرة مبيعات ·· طبيبة ·· سيدة أعمال ·· صاحبة شركة ·· مدير عام ·· سكرتيرة مدرسة بالجامعة ، محامية ·· سيدات من مختلف الأعمار ·· صغيرات ·· كبيرات ·· كل منهن تبحث عن شريك يملأ فراغ حياتها ·· حتى لو كان عن طريق الخاطبة ·· وحتى لو كانت الخاطبة كتابا أنيقا يحمل صورا ويقدم معلومات فالكل فى النهاية يبحث عن الدفء ·· فهل يجدنه !

وسط هذا المجتمع الذى يموج بالحرية ·· والذى تنتشر فيه العلاقات الخاصة تماما كانتشار أكواب الكوكاكولا الكبيرة والأيس كريم والبوب كورن ·

كيف يمكن لانسان أنيظل وحيدا · هل هى ضريبة النجاح ··
انك لا تجد شخصا فى نفس مستواك ·· شخصا لا ينبهر بك ··
شخصا يستطيع أن يقبله عقلك الواعى الى حد صـعوبة الاقتناع
الشخصى · المهم أن فى أمريكا اناسا يتاجرون فى لحظات الوحدة
هـذه ويقبضون الثمن ·· !!

● ● ●

جثة رجل
ميت على المسرح

عندما كان « فيليب لانجوا » يعطينا محاضراته فى الكتابة للراديو • كنت أتذكر دائما مدارس البنات فى مصر •• وقصص الحب التقليدية التى شهدتها كل فصول مدارسنا بين المدرس الشاب والتلميذات المراهقات •• رغم أن « فيليب » الكندى ليس مدرسا ••

بل استعان به مركز دراسات الأسرة والجماعة كخبير فى اعداد البرامج الاذاعية القصيرة •• ورغم أن المشتركات فى الدورة تخطين سن المراهقة بكثير •• الا أن « فيليب » الهادى الى حد الخجل أحيانا اجتذب بعض المشتركات فى الدورة الى لعبة التلميذة والأستاذ التى اكتشفت انها لعبة عالمية وليست قصة مصرية تقليدية •

كان « فيليب » يشرح لنا كيف يمكننا كتابة مثل هذه البرامج القصيرة جدا والتى تستخدم عادة للترويج لسلعة أو فكرة معينة •• وكنا نتدرب على كتابة هذه البرامج •• ثم نقوم بتسجيلها فى استوديو اذاعى صغير يقع فى الدور الثانى فى المركز •• وعند التسجيل يقوم صاحب البرنامج باختيار الموسيقى التصويرية والمناطق التى تستخدم فيها ••• ويقوم بالاشراف على اخراج

العمل اذاعيا وتسجيله بينما تقوم مجموعة منا بمساعدته فى العمل كممثلين أو حتى كمؤثرات صوتية ·· أحدنا يفتح الباب ·· أحدنا يصدر صوت تحرك سيارة ·· وآخر يقلد صوت بكاء طفل ·

وهكذا فان الجانب العملى من الدراسة يحولها من مجرد نظريات الى خبرة عملية وربما هذا هو ما تفتقده كثير من الدراسات عندنا ·· فالدراسة هنا تكشف لك شيئا هاما عن نفسك ·· انها بحق تفجر كل طاقاتك وتجعلك تكتشف مهارات فى نفسك لم تكن تدركها ·· بل لم تكن تتصور حتى مجرد وجودها ·

وهم أيضا يحاولون اعطاءك بعض الخبرة فى عدد من الفنون الاعلامية ·· لذلك جاءو الينا بخبير فى كتابة الدراما الاذاعية ··وقد حاول هذا الخبير ·· الذى كان صورة طبق الأصل من الرجل الذى كانوا يرسمونه على علب السجائر « البحارى القديمة » نفس الوجه والذقن والملابس الزرقاء و « البيريه » على رأسه ··

حاول أن يعطينا بعض الخبرة فى الكتابة الدرامية للاذاعة ·· وأنت اذا لم تكتشف فى نفسك بعد عدة محاضرات مهارة الكتابة الدرامية ·· فأنت على الأقل تكتسب القدرة على تقييم ما تلتقطه أذنك من أعمال درامية عبر الاذاعة ·· وهم عند اعداد برنامج هذه الدورة الدراسية يخططون أن تكتسب بعض المهارات التى يجب أن تتوفر لديك سواء كنت رجل اعلام أو تمتهن أى مهنة تتطلب معاملتك مع الجمهور ··

لذلك جاءوا الينا برجل كل مهمته أن يعلمك كيف يمكن أن تواجه جمهورا ·· سواء كان هذا الجمهور مجموعة من الأفراد أو ميكروفون اذاعة أو كاميرا تليفزيون ·· يعطى الرجل محاضرات عملية ليعلمك كيف تقف ··· كيف تجلس — كيف تتنفس بطريقة طبيعية ·· كيف يمكن أن يخرج صوتك واضحا ·

وقد كان الأمر يبدو لنا جميعا فى البداية وكأنه لعبة ٠٠ لكن بعد أن قام كل منا بتجربة الوقوف ومواجهة الآخرين والتحدث اليهم ٠٠ اكتشفنا أن هناك كثيرا من القواعد التى يجب اتباعها وأن الأمر يحتاج الى نوع من التمرين ٠

من المهارات التى لم يكن أحدنا يتصور وجودها فى نفسه ٠٠ مهارة الاشتراك فى عمل تليفزيونى ٠٠ سواء كمذيع ٠٠ أو ممثل ٠٠ أو مصور ٠٠ أو مخرج ٠٠ أو معد ٠٠ فبعد اعطائنا محاضرتين نظريتين فى فن التليفزيون ٠٠ جاءوا الينا بخبير فى التليفزيون ٠٠ يعمل بالكتابة والاخراج فى واحدة من أكبر المحطات التليفزيونية الأمريكية .وهى محطة « سى ٠ بى ٠ اس » ٠٠ ربما لهذا تنجح الدورات الدراسية هنا وتفشل عندنا ٠٠ لانهم لا يستعينون بأستاذ يدرس مواد نظرية ٠٠ بل برجل يمارس العمل فعلا ٠٠ رغم أن الدورة الدراسية تقام باحدى الجامعات الأكاديمية ٠٠

وفى لحظات تتحول قاعة المحاضرات الوحيدة بالمركز الى استرديو تليفزيون ٠٠ أعمدة اضاءة ٠٠ أسلاك ٠٠ كاميرتين للتصوير ٠٠ وكل هذا موصل بحجرة صغيرة ملحقة بقاعة المحاضرات توجد بها أجهزة التحكم والتسجيل ٠٠

وفى القاعة التى تحولت الى استوديو ٠٠ وقفنا ننظر الى الأجهزة والكاميرات التى حولنا ونحن لا نتصور أننا يمكننا أن نحول السيناريو الذى وزعه علينا مستر « سبراى » الى صور تليفزيونية مسجلة على أشرطة ٠٠٠ وفى دقائق تحولنا الى فريق مذيعين وممثلين ومصورين ومخرجين ٠٠ وتغير السيناريو وتبادلنا الأدوار ٠٠

وكنا نجلس بعد أن ننتهى من اخراج وتسجيل برنامج أو تمثيلية قصيرة لنشاهدها ونحن لا نتصور اننا نحن الذين قمنا بهذا العمل ٠٠ نحن الذين استطعنا أن نواجه الكاميرا كمذيعين

أو ممثلين ••• نحن الذين استطعنا أن ندير هذه الكاميرا ونصور بها •• نحن الذين قمنا باخراج العمل كله من الحجرة الملحقة ••• ربما يكون الاهتمام قد تفاوت بيننا •• فقد شارك البعض باهتمام حقيقى فساهم فى التدريب على كل الأعمال •• عمل ممثلا •• ومذيعا ومخرجا ومصورا ••• بينما اقتصرت مشاركة البعض على الفرجة فقط لكن المؤكد أن كلا منا استفاد شيئا •• ربما تفاوتت الاستفادة حسب الاهتمام •• لكن الكثيرين منا اكتشفوا فى أنفسهم مهارات لم يكونوا يتصورون مجرد وجودها •

وهذا هو الأسلوب الأمريكى فى التعليم والعمل أيضا •• أسلوب يقوم على تفجير كل طاقاتك •• فالأمريكى صاحب كل هذه المدنية المتطورة والتكنولوجيا المبهرة ليس ذكيا هذا الذكاء الخارق غير العادى الذى قد يتصوره البعض •• لكنه يملك شيئا واحدا وهو امكانية استغلال كل شىء وأى شىء فى الانسان •• فهو يخرج منك كل مهاراتك وطاقاتك •• بينما يمكن أن يعيش الانسان ويموت فى مجتمعاتنا النامية دون أن يدرك أن ما يستغل منه ليس سوى واحد على عشرة من قدراته التى يملكها فعلا •

ولذلك أيضا ـ يملك الأمريكى المدنية أكثر مما يملك الحضارة ••• يملك التطور أكثر مما يملك الفن •• والفن عند الأمريكى مختلف تماما عن الفن الذى اعتادت عليه المجتمعات العريقة فى الحضارة • فالأمريكى يستمتع بنوع معين من الفن قد يسخر منه الأوروبى •

وأبسط مثال على ذلك فن الديكور هنا ـ فمنذ أن وصلت شيكاغو والجميع يحدثوننى عن أشهر محل لصناعة البيتزا هنا •• وقررت يوما أن أذهب لمشاهدته وخاصة أنهم قالوا عنه أنه لا يقدم فقط « أخطر » بيتزا فى شيكاغو ••

بل أنه أيضا من المحلات الفريدة فى ديكوراتها فى المدينة الأمريكية الضخمة ••• وحملت العنوان الذى أعطوه لى وبحثت

عن المحل ٠٠ ولم أجد مدخلا كبيرا لمحل ضخم شديد الفخامة كما توقعت ٠٠

بل وجدت سلما حديديا يشبه الى حد كبير سلالم الخدم فى العمارات القديمة فى مصر مع اختلاف بسيط وهو أنه ليس حلزونيا وليس شديد الطول بل يمتد من أرضية الشارع حتى مستوى الدور الأول فقط ٠٠ وقد تراص عليه عدد كبير من الشبان والفتيات وبعض الرجال والنساء فى طابور طويل امتد حتى منتصف الشارع وكأننا أمام جمعية تعاونية ٠٠

وقررت الاحتمال والوقوف فى الطابور وقد دفعنى فضولى لرؤية هذا المحل الذى يزدحمون فى طوابير طويلة للتمتع بالجلوس فيه ٠٠٠ وعندما وصلت الى الباب وجدته من الخشب البالى ويبدو وكأنه باب أحد الجراجات أو المخازن ٠٠

ودخلت الى المكان ولم أصدق عينى ٠٠ المكان كله من حوائط ومقاعد وموائد ٠٠ من الخشب المحفور ٠٠ وهو ليس محفورا بأشكال فنية ٠٠ بل انه ليس أكثر من « دكه » فى احدى مدارسنا ٠٠ جلس اليها طالب « شقى » وأخذ يحفر فيها بمطواة كاتبا اسمه وتواريخ الأيام ثم أخذ يرسم قلبا وسهما وعربة وطائرة ٠٠

هـذا هو ديكور المحل ٠٠ خشب بالى قديم محفور بأسماء وذكريات وعلامات كل ذلك تم حفره بمطواة صغيرة ٠٠ تماما كما يلهو العشاق على احدى الموائد أو فوق جذع شجرة ٠٠ المحل كله ليس أكثر من هـذا ٠٠ مقاعده وموائده وحوائطه ٠٠ لا تجد بوصة من الخشب فيها دون اسم محفور أو تاريخ أو رسم قلب أو سهم ٠٠

والأدهى من ذلك أن الزوار ينظرون ويتأمـلون والأمر أن صاحب المحل دفع آلاف آلاف الدولارات لخبراء الديكور لعمل هـذا الديكور الفريد من نوعه ٠٠ ولو علم لاكتفى بطلب بعثة من خمسة تلاميذ من احدى مدارسنا الابتدائية ولتكفلوا بالأمر كله !

ولكن مما لا شك فيه أن مصممى ديكور هـذا المحل خبراء فعلا فى الذوق الأمريكى ·· فالمترددون على المحل يتحسسون هـذا الخشـب المحفـور بعفـوية وفوضـوية بانبهـار وكـأنهم أمـام « الموناليزا » ·· بل اننى أشـك انهم يمكن ان ينبهـروا كل هـذا الانبهار أمام الموناليزا أو أمام أى عمل فنى سوى هـذه العبثية التى أسموها ديكورا ··

والدليل على ذلك اننى عندما زرت متحف الفن فى شـيكاغو ·· وهو من أخطر متاحف الفن فى العالم ويضم مجموعة نادرة من أعمال « بيكاسو » و « رمبرانت » وكبار الفنانين ··

لم أجد هـذا الكم الهائل من الأمريكيين ·· ولم أجـد كل هـذا الانبهار الذى وجدته أمام هـذا الخشـب المحفـور وهـذه البيتزا التى يقدمونها فى حجم كبير يصل الى حجم المـائدة ·· ويقدمون معها البيرة فى « شفشق » كبير وكانت هـذه هى المرة الأولى التى أرى فيها البيرة وهى تقدم فى « شفشق » ·· وأمنت بأن الأمريكيين يحبون الحجم الكبير فى كل شىء ·· فى ناطحات السحاب ·· فى الكوكاكولا ·· فى سندوتشـات الهامبروجر ·· وفى البيرة أيضا !!

وكنت أتصور أن هـذا المحل هو آخر التقاليع الأمريكية فى دنيا الديكور ·· لكننى اكتشفت أن العقل الأمريكى لا يتوقف عن اختراع أغرب التقاليع ·· وخاصة عندما دخلت مطعما آخر هنا ·· وهـذه المرة كل ما فى المحل له علاقة بالسيارات ·· المقاعد عبارة عن مقاعد سيارة والديكور كله عبارة عن لوحات أرقام السيارات « دريكسيون » أو عجلة القيادة والأرضية ليست سوى « دواسات » السيارات ·· وهكذا تجلس لتجد وراءك لوحة معدنية تحمل أرقام سـيارة و « ملاكى انديانا » وفى مواجهتك لوحة معدنيـة أخـرى بأرقام أخرى وملاكى شيكاغو ··

ومادمت فى أمريكا فلا التقاليع تنتهى ولا أنت تكف عن الدهشة !!

كنت ألاحظ محاولات الاقتراب من « فيليب » من بعض المشتركات فى الدورة كل بطريقتها ·· « تسليم » الباكستانية وهى تجلس فوق الكرسى وقد وضعت تحتها ساقيها الملفوفتين فى البنجابى الباكستانى وقد أخذت تجادل فى كل شيء محاولة اظهار تفوقها ·· و « مارجريت » الأوغندية وهى تحاصره بالأسئلة وتجاهر بالعداء كل من تتصور اعجاب « فيليب » ناحيتها ·· رغم أنه كان حذرا ·· بل شديد الحذر فى التعبير عن اعجابه أو مشاعره ·· ويبدو أنه يفهم اللعبة واعتاد عليها وخاصة أن هذه لم تكن المرة الأولى التى يستعين به فيها المركز للتدريس بمثل هذه الدورات الدراسية ويبدو أيضا انه اعتاد ان ينأى بنفسه من الوقوع فريسة لهذه اللعبة لاحساسه بحساسية موقفه كمدرس ·· لكن صديقتى اليونانية « هاريش » كانت تقتحم هذا الحرص ·· وكنت أشعر به يتراجع فى ذعر ·

وعلى مائدة فى مطعم البيت الدولى كنا نجلس ·· هاريش و « رينيه » وأنا ·· عندما مر بنا « فيليب » وهو يحمل صينية طعامه ·· حيانا وأبطأ فى خطواته ·· لم يكن أمريكى الأسلوب فى اقتحامه لأى جلسة حتى لو كان يريد المشاركة فيها ·· ودعته « هاريش » للجلوس فجلس ، وتشعب الحديث حتى قال « فيليب » أن مسرح « مكورمك بليس » يعرض مسرحية : « الملك وأنا » بطولة « يول براينر » وسيطرت على الفكرة فكرة رؤية « يول براينر » على المسرح · بلحمه ودمه ·· وهو يؤدى دور عمره ·· دور ملك سيام ·

واجتذبت الفكرة عددا من الأصدقاء ·· وفى الموعد الذى اتفقنا عليه تجمعنا ·· « جاز » الهندى ·· و « بيت » الكورى ··

و « مايك » الأمريكى ·· « وتسليم الباكستانية ·· وآمال السودانية ·· وتوجهنا جميعا الى المسرح » · وعندما تذهب الى المسرح فى لندن أو باريس ·· تتوقع أن تجد مكانا كلاسيكيا أنيقا ·· أما فى أمريكا فانك تجد شيئا مختلفا تماما ·· فالمكـان وهو « مكورمك بليس » عبارة عن مبنى ضخم من الصلب الأسود يضم عدة مطاعم ومحلات ونـواد ليلية ومسرح كبير شو الذى يعرض « الملك وأنا » وتركنا الأمر للأمريكيين الثلاثة « جاز » و « بيت » و « مايك » ولم نقل سوى اننا نريد مكانا يمكن أن نرى منه « يول براينر » بوضوح وعـادوا يقـولون أن هنـــاك تذاكـر بعشرين دولارا وأخــرى بخمسة عشر دولارا ··

واقترحنـا أن نشـترى الأولى لكنهم أصروا على أن هـذا كثير وانه يكفى أن ندفع خمسة عشر دولارا وأكدوا اننا سنجلس فى مكان مناسب جـدا ··

وسنرى المسرح بوضوح شديد ورضخنا ·· فالأمريكى يحسب كل شيء بالدولار سواء كان أصله هندى أى كورى أو أوروبى ·· ودخلنا الى المسرح ··

وفوجئنا به يقودنا الى الدور الثانى فى المسرح وليس الى الصالة ·· وليت الأمر توقف عند هـذا ·· فقد ظل الرجل يصعد ونحن نصعد وراءه حتى وجدنا أنفسنا فى الصف قبل الأخير من أعلى المسرح ·· فقالوا أن الرجل خدعهم ·· ولم نجد بدا سوى الاستسلام ·· وبدأ العرض ·· وكـان رائعـا بحق ·· حـركة الممثلين ·· تحريك مجموعات الأطفال · الموسـيقى الأغـانى ·· الأضـواء ·· وأكثر من هـــذا الألـوان المسـتخدمة فى الملابس والديكورات « آسيوية » ·· فيها دفء الشرق واحساسه ودرجات الوانه المميزة ··

وكان هـذا واضحا حتى أن المسرح تحول الى قطعة حية من الشرق ·· لكن الجـلوس فى أعلى المسرح سرق جـزءا كبيرا من

الاستمتاع بالعرض ·· وخاصة عندما كان يظهر يول براينر على المسرح وكنت أعجز عن تمييزه على هذا البعد وشعر « بيت » برقته بخيبة أملنا ·· فتركنا بضع دقائق وهبط الى أسفل المسرح ··

ثم عاد ومعه نظارة مكبرة اشتراها وأخذنا نتناوب النظر بها ·· وعندما أضيئت الأنوار بعد انتهاء الفصل الأول كانت خيبة الأمل مرتسمة على وجوهنا جميعا ·· فلم يعتبر أحدنا أنه رأى يول براينر فعلا ·· وبقيت أنا وتسليم وآمال فى أماكننا ·· بينما هبط الشبان وتركونا وقد سيطر علينا الاحساس بالضيق وخيبة الأمل حتى عادوا فجأة يطلبون منا أن نهبط معهم الى الصالة حيث توجد مقاعد خالية قريبة من المسرح ·· قلنا بدهشة كيف نجلس على مقاعد لم نحجزها ولم ندفع ثمنها ·· قالوا ان العرض بدأ والأمر انتهى ولن يبيعوا هذه التذاكر لأحد فما المانع من أن نجلس نحن فيها ··

وترددنا برهه ·· خشينا أن يسبب لنا هذا التصرف أى حرج أو ضيق أو يضعنا فى مأزق لكنهم أصروا على اننا يجب أن ننزل بسرعة قبل أن تنطفىء الأنوار ·· وتغلبت رغبتنا فى رؤية « يول براينر » عن قرب والاستمتاع بحق العرض على ترددنا ·· ونزلنا لنجلس فى الصالة فى مكان لا يبتعد كثيرا عن المسرح ·· وظللت أتلفت حولى وأنا أتوقع أن يأتى أحد ليطلب منا أن نترك المكان بعد أن يكتشف انه ليس مكاننا ·· أو أن يأتى أصحاب المقاعد الذين حجزوها وربما يأتون متأخرين لأى طارىء ·· لكن شيئا من هذا لم يحدث ·· وبدأ خوفى يزايلنى وأنا أتابع العرض ·· وقد بدأ « يول براينر » على المسرح عملاقا ·· وخاصة وهو يؤدى مشهد الرقصة المشهورة ·· فقد استطاع رغم سنوات عمره الأربع والستين أن يؤدى الرقصة بقدرة لا يشوبها أى ضعف ·· رغم أن جسده الفارع العارى العريض ·· لم يعد هكذا فقد برزت عظام صدره وهزمت جسده السنون فبدأ يميل الى النحافة ·· لكن فنه استطاع أن يهزم السنين ··· وفى مشهد النهاية رغم يديه

ودب الأرض بتندمد بالصورة التقليدية التى رسخت فى كل الأذهان له ٠٠ ولهـذا الدور الذى ظل يؤديه حوالى أربعين عاما ٠٠ ووقف الجمهور احتراما ٠٠ وظل يصفق لأكثر من عشر دقائق متتالية ٠

ظللنا طوال الطريق فى العودة نتحدث عن قدرة هـذا الرجل على أداء هـذا الدور كل هـذه السنوات حتى وصـل الى سـنه هـذا ٠٠ وقد لعب هـذا الدور على مسارح العـالم بنفس هـذه القدرة الفنية الفائقة لكننى صعقت فى اليوم التالى عندما وجـدت ناقدا أمريكيا يصـف « يول براينر » وهو يؤدى دوره فى « الملك وأنا » على مسرح « ماكـورمك بليس » بانه جثـة رجل ميت على المسرح ٠ فقد قال الناقد ان العرض يجذب الناس ويكسب اعجابهم بأن يضع أمامهم على المسرح جثـة رجل ميت ويوهمهم أن هـذا هو « يول براينر » ٠٠

بينما هـذا الذى يقف على المسرح ليس فيه من يول براينر شيئا ٠٠ فهو ليس أكثر من جثـة لها الملامح ولكن ليس بهـا أى حياة ٠٠ جثة تجعل المتفرج لا يرى الممثل الذى أمامه على المسرح بل يرى الصـورة التى يختزنهـا ذهنـه عن « يـول براينر » بكل عنفوانه وقوته ٠٠ بينمـا الخدعة أن الذى فوق المسرح مـا هو الا جثة رجل ميت ٠٠ وتعجبت من قسوة التشبيه وقسوة الناقد الأمريكى الذى لم يحترم قـدرة الفنان وهو يؤدى وهو فى هـذه السن دورا كان يؤديه وهو فى كامل عنفوانه ٠٠ ومع ذلك يملك أن يؤديه بكل هـذه القدرة ٠٠ وتعجبت انه استطاع أن يرى عظام « يول براينر » البارزة فى صدره ٠٠ ولم يستطع أن يرى عظمـة فنه وهى تلغى من أمام عينيك كل مظـاهر شيخوخته !!

● ● ●

الزوج
فى
أمريكا
أم وربة بيت

الزوج « ربة البيت » ·· هو بالضبط الرجل الذى يلعب الدور التقليدى للزوجة ·· يجلس فى البيت ·· ينظفه ويطهو الطعام ويحمى الأطفال ويرعاهم ويعد الطعام ويحتفظ به ساخنا ويجلس لينتظر عودة الزوجة « رجل الأعمال » من عملها مرهقة وفى حاجة الى وجبة ساخنة وكلمة رقيقة !

وفى أمريكا الآن ·· الزوج « ربة بيت » ليس شيئا شاذا ·· أو غريبا ·· أو عجيبا فقد وصل عدد الأزواج « ربات البيوت » فى عام ١٩٧٩ الى مليونى زوج ربة بيت !

وقد ازداد بالفعل عدد الأزواج الذين يقومون بدور ربة البيت نتيجة لتفوق عمل الزوجة على عمل زوجها ·· حتى أن احدى هؤلاء الزوجات قالت « واحدة من أربع من صديقاتى تكسب نقودا أكثر من زوجها » !

ان تفوق عمل الزوجة على عمل زوجها يقلب الأوضاع داخل المنزل الأمريكى ·· فتصبح المرأة صاحبة العمل الذى يدر دخلا أكبر والتى يأتى عملها فى المقدمة فى حياتها وحياة أسرتها ·· بينما يلعب الزوج دور « ربة البيت » الذى يقوم بكل شىء فى البيت بينما

يأتى عمله فى المرتبة الثانية فهو يضحى به فى سبيل ادارة البيت ورعاية الأطفال ٠

واذا تأملنا حياة هـذه الأسر الذى يلعب فيها الزوج دور ربة البيت والتى يزيد عددها اليوم عن مليونى أسرة ٠٠ ستجد العجب !

احدى هـذه الأسر ٠٠ الزوج « ربة البيت » لا يعمل اطلاقا ٠٠ كان يعمل من قبل لكنه فضل التفرغ تماما للمنزل ٠٠ بينما الزوجة تشغل منصبا مرموقا فى احدى منظمات الأغذية ٠٠ تخرج الزوجة لعملهـا ويبقى الزوج فى البيت ليقوم بتنظيفـه ٠٠ ويخرج لشراء الحاجيات أو عمل « الشوبينج » كما يسـمونه هنـا ٠٠ ثم يعود لينظف البانيو ٠٠ ويقوم بفرش الأسرة ٠٠ ومسح الأرضية ٠٠ ثم يطهو الطعام !

قال الزوج ٠٠ « أنا لا أعتقد أن هناك وضعا جيدا ووضـعا رديئـا ٠٠ لكن هنـاك اختلافا وهـذا هـو الذى يجب أن يفهمـه الناس » !

رجولة الرجل تنبع أساسا من احساسه بتفوقه ٠٠ نسـمع كثيرا عن فشل زيجات بسبب تفوق الزوجة فى عملها ٠٠ هـذا الاحسـاس بالتفوق ينعكس على كل شىء فى حيـاة الاثنين حتى علاقتهما الخاصة ٠٠ فماذا يحدث عندما يصل تفوق الزوجة الى أن يلعب الزوج دور « ربة بيت » الذى ترفضه المرأة اليوم ٠٠ وكيف تكون علاقتهما الخاصة ؟ !

قال الزوج ان علاقتهمـا الخـاصة لم تتأثر نتيجـة لهـذا الوضع ٠٠ « بل بالعكس أصبحت علاقتنا أفضل مما كانت عليه قبل ذلك عندما كنت أنا أيضا أعمل » !!

وقالت الزوجة ٠٠ « ان هـذا الوضع أفضل بكثير ٠٠ لقد كنت أشعر دائما ان لدى استعدادا لعمل شيء مختلف عن البقاء في المنزل ٠٠ كنت أشعر ان لدى الاستعداد لكى أقوم بوظيفة مرموقة وان أتقلد مركزا كبيرا ٠٠ كنت أشعر ان الحياة فى البيت مملة ٠٠ وعندما ذهبت لأعمل شعرت اننى أمام تحد لاثبات نفسى ٠٠ وأنا أحب التحدى ٠٠ انه يجعلنى أشعر باننى أحيا » ٠

ويكمل الزوج قائلا ٠٠ « أنا بالعكس تماما ٠٠ لا أشعر باننى أحب المنافسـة فى العمل ٠٠ ولذلك تعجبنى « قعـدتى » فى البيت وتريحنى وتتفق مع طبيعتى » !!

وأسرة أخـرى ٠٠ تـركت الزوجـة زوجهـا وابنتهـا فى « كاليفورنيا » وذهبت لتعمل فى « ديترويت » ٠٠ وهى تحصـل على دخل أعلى من زوجها الذى مازال يعمل حقا ٠٠ لكنه هو الذى يدير البيت ٠٠ هو ربة البيت ٠٠ حيث ان الزوجة تعمل فى الخارج بعيـــدا ٠

وتقول الزوجة انها كانت تعلم انها سوف تكسـب أكثر من زوجها قبل أن تتزوجه ٠٠ فعندما تزوجا كانت حاصلة على ماجستير وتحضر لنيل درجة الدكتوراه ٠٠ بينما هو لم يكن حاصلا على أى شهادة ٠٠ ليس سوى بعض الدراسات التمهيدية ٠٠ ولذلك كانت تعلم انها ستحصل على دخل أكبر من دخـله ٠٠ وانها يمكن أن تحصل على وظيفة أرقى من وظيفته ٠

كيف يمكن أن نسير الحياة فى البيت والزوجة تعمل بعيدا فى بلد آخر ٠٠ تقول الزوجة « عندما قبلت هـذه الوظيفة تصورت اننى يمكن أن أعود فى نهاية كل أسبوع الى البيت ويسير كل شيء بصورة طيبة ٠٠ لكن ذلك لم يحدث لاننى عندما أعود الى البيت أشعر اننى أعامل على انى ضيفة ٠ من الصـعب أن أشـعر كما كنت أشعر من قبل ٠٠ فانا أعيش خمسة أيام كعازبة وامرأة مستقلة ٠٠ وأعيش يومين على اننى فرد من العائلة » !

وأسرة أخرى ·· الزوجة تعمل فى وظيفة مرموقة ·· وهو ·· الزوج ·· مدرس عادى ·· قالت انها كانت تشعر دائما بانها عدوانية من شدة رغبتها فى أن تصل الى هدفها الذى تريد تحقيقه ·
وهى تعلم انها ستكسب أكثر منه ·· وهى تقدر أن زوجها يعمل فى التعليم ·· لانها تقدر وظيفة التعليم ·

وهذه الزوجة تقبل الوظيفة المرموقة وتسعى اليها ·· تقبل التفوق على زوجها فى المركز وفى الدخل أيضا ·· لكنها لا تقبل ترك أسرتها والعمل بعيدا ·· فهى تقول انها قبلت هذه الوظيفة المرموقة لانها فى نفس المدينة ولن تترك عائلتها ·· ولذلك أيضا رفضت وظيفة مرموقة أخرى لانها كانت تقتضى أن تترك أسرتها وتذهب للعمل فى واشنطن ·

حتى خمس سنوات مضت كان رب هذه الأسرة المندوب الدبلوماسى الرئيسى لاحدى محطات التليفزيون الأمريكية ·· كان رجلا لامعا فى وظيفته وزوجا تقليديا ·· التقى بزوجته فى الجامعة حيث كان يعد لنيل درجة الدكتوراه وعندما نقلوا لأول وظيفة تليفزيونية تركت هى عملها لتتفرغ له ولأسرتها الصغيرة ·· وخاصة انهما كانا ينتقلان تبعا لعمله ·· وعندما استقر بدأت تبحث عن وظيفة وقبلتها جامعة جورج تاون ضمن هيئتها التدريسية ووافق هو على أن يخفف الحمل عنها بان يتحمل هو أعباء المنزل ويصبح « ربة البيت » وبقى فى المنزل عشرة أشهر ·· أما عن عمله فقد منحه رئيسه فرصة القيام بتعليق اذاعى يومى يمكن أن يقوم به فى المنزل على أن يعمل فى الاستوديو ليلة واحدة فقط فى مقابل أن يحصل على نصف مرتبه فقط ·

أما كيف كان يمضى رجل التليفزيون اللامع يومه ·· فهو يصفه هكذا ·· يصحو فى السادسة صباحا ليقرأ الجرائد ثم يعد الأفطار لزوجته وأولاده وبعد أن تذهب هى الى عملها ويذهب الأطفال الى مدارسهم ·· ينشغل قليلا فى أنهاء أعمال المنزل ··

ثم يقوم بكتابة وتسجيل تعليقه الاذاعى ٠٠ ويمضى ساعة مع أصغر أبنائه قبل أن يعد طعام العشاء ٠

ويحكي عن تجربته فيقول انه فى البداية كانت تزعجه أشياء صغيرة مثل أن يذهب للشراء ويعود ليكتشف انه نسى شراء الصابون مثلا ٠٠ أو مرض أحد أطفاله فجأة لكنه تعود الا يحسب وقته على انه ملكه هو وهو يعترف بانه أحيانا ما كان يشعر بأن الأدوار قد انعكست تماما بشكل يضايق ٠٠ فقد حدث فى احدى الأمسيات أن اتصلت زوجته من العمل وقالت انها ستعود الى المنزل فى الساعة السادسة والنصف مساء ٠٠ وفى الموعد كان كل شيء كما يجب أن يكون والطعام ساخنا ٠٠ ومضت حوالى ساعة ٠٠ ففسد كل شيء وبرد الطعام ويقول : « لقد كنت غاضبا ٠٠ ثائرا ٠٠ لكننى فعلت نفس الشيء معها من قبل ولا أدرى كم مرة » !

والغريب انه بعد أن أمضى عشرة أشهر فى المنزل وهى الفترة التى كان يقتضيها عمل زوجته خلالها أن يبقى فى المنزل ٠٠ لم يعد هو الى عمله كما كان ٠٠ ورغم أن ظروف عمل زوجته تغيرت نوعا ما ٠٠ الا أنه لم يعد يوافق على العمل فى المساء لاذاعة النشرة الأخيرة ٠٠ وأصبح تدريجيا يرفض اقتراحات السفر ٠٠ بل انه حاول اعتزال عمله لولا ان المحطة ربطته بعقد طويل الأجل ٠٠ ويتلخص أمله الآن فى أن يحصل على جدول عمل أقل فى مقابل أن يحصل على مرتب أقل ٠٠ أى أن يعمل نصف الوقت فى مقابل نصف الأجر ٠٠ وضحكت عندما تذكرت انهم حاولوا فى مصر أن يجيزوا قانونا بهذا الشكل من أجل المرأة العاملة ٠٠ لكنه فشل لانه اعتبر خطوة الى الوراء ٠٠ فهل كان يتصور احد أن يسعى رجل الى هذا ٠٠ وفى أمريكا !!

لقد ظهر فى أمريكا نوع جديد من الحياة ٠٠ موضة جديدة ٠٠ هى الحياة مع الأب ٠٠ وهى ليست بدعة ٠٠ لانها ليست سوى نتيجة طبيعية للتغير الاجتماعى فى المجتمع الأمريكى والضرورة

الاقتصــادية ، ويصــف ذلك أحد الآباء ويعمل بالأمن ‥ قائلا ‥ « مع طفلين وزوجة عاملة تعلمت أن الأبوة وظيفة لكل الوقت ‥ وبدلا من التنزة بسيارتى ‥ أقضى الآن معظم أمسياتى فى طهو العشــاء واستحمام الأطفال » ٠

ولانه أصــبح هنــاك الآن نوع من التركيز على الابوة ‥ أصبحت هناك كتب تشرح للآباء كيف يربون أطفالهم ‥ بل وأكثر من هــذا فصــول لتعــليم الآباء رعــاية الأطفــال وتشرف عليها المستشفيات ‥ والغريب حقا ان هــذه الفصول مملوءة بالرجال الذين يريدون ان يتعلموا كيف يقومون بتغيير ملابس الطفل ‥ و كيف يمكن هدهدته ٠

بل ان الدورات الدراسية لرعاية الأطفال أصبحت تجذب عددا من الآباء يكاد يماثل عدد الأمهــات ٠ بل ان عدد الرجــال الذين يشاركون فى فصول الولادة تضاعف فى أمريكا فى العشر سنوات الأخيرة حيث يبدأ اهتمام الأب حتى قبل أن تلد زوجته ٠

والسبب فى هــذا هو أن ٦٠٪ من الأمهات اللاتى لديهن أطفال يعملن ‥ ولذلك وتبعا لآخــر بحث احصــائى اجرى فى الولايات المتحدة الأمريكيــة على ١٥٠٠ عائلة ‥ ثمــان من كل عشر أسر وافقوا على أنه عنــدما يعمل كل من الزوجين ‥ فان كلا منهما يجب أن يلعب دورا متساويا فى رعاية الأطفال ٠

وكنتيجة أيضا لدراسة احصائية قامت بها فى عام ١٩٨٠ احدى وكالات الاعلان الأمريكية أن ابدى حوالى نصــف الرجال استعدادهم للمشاركة فى مسئوليات الطهو والنظافة ٠

والأخطر من هــذا انه أصبح يحدث أحيانا عند الزواج أن تطلب المرأة من الرجل أن يوقع على عقد بان يشاركها عبء العمل فى البيت ‥ ومعظم الأزواج الأمريكيين يشاركون فعلا فى أعباء البيت ‥ لكن مثل هؤلاء النساء لا يردن المخاطرة ولذلك يطلبن

الضمان الرسمى ٠٠ التوقيع على عقد يضمن لهن ذلك !! الأغلبية لا يتعاملون بمثل هـذه العقود الرسمية وان كان هـذا الموضوع يثار بوضوح قبل الزواج ويتم الاتفاق عليه ٠

وأكثر من هـذا ان معدل الطلاق الذى يرتفع بشكل مستمر تبعه تغير فى قوانين رعاية الطفل وخلقت طبقة جديدة تتزايد فى الأباء المطلقين الذين يحتفظون بأطفالهم ٠٠ وتبعا لبحث احصائى تم عام ١٩٨٠ فان هناك أكثر من مليون طفل يربيهم الآن بشكل منفرد أباؤهم ٠٠ بزيادة ٦٥٪ عن الرقم فى عام ١٩٧٠ ٠٠ فقد أصبح يحدث الآن بعد الانفصال أن يبحث الآباء عن حقوقهم فى حضانة الطفل ويطالبون بها ! وفى سلسلة من حالات الانفصال عبر عدد من القضايا التى شهدتها المحاكم منذ عام ١٩٧٠ ٠٠ حدث الصراع القانونى بين الأم والأب ٠٠ وكانت هناك محاولة لدحض الحق الذى كانت تحصل عليه الام أتوماتيكيا اقتناعا بانها الحاضنة المناسبة لطفل صغير ٠

بل ان ١٥ ولاية أمريكية سمحت بالمساواة فى حق الأب فى الحضانة ٠٠ وبان كلا من الأبوين يجب أن يحكم بينهما على أسس متساوية فى تقرير مدى أحقية كل منهما فى حضانة الطفل ٠٠ بل ان هناك حكما أصدرته محكمة فى ولاية « ميسورى » يقضى بأن دور الجنس أصبح أكثر مرونة وان الآباء المنفصلين لديهم القدرة على حضانة الطفل تماما مثل الأم !!

بل انه استمرار لهـذه الموجة ظهر عدد من الدراسات النفسية والاجتماعية التى ترصد قدرة الآباء على رعاية أطفالهم بشكل منفرد ٠٠ وفى واحدة من هـذه الدراسات قام بها « ميلتون كوتيلشوك » الباحث النفسى بجامعة « هارفارد » ٠٠ أوضح ان احتياجات الطفل العاطفية يمكن أن تلبى بشكل متساو من كلا الأبوين ٠٠ وان الطفل عندما يشعر بالضيق يبحث عن الراحة عند أحد الأبوين وهو الذى يكون عادة أكثر رقة معه ٠

وهـذا لا يختلف كثيرا عما أثبتتـه الدراسـة التى أجراها « دوجلاس ساون » العالم النفسى بجامعة تكسـاس من أن « كلا الأبوين يرعى الطفل بدرجة متساوية ·· ويستطيع أى منهما أن يتأقلم مع احتياجات الطفل » ·

وأضاف على هـذا « روسى يارك » العالم النفسى الذى قام بملاحظة سلوك الأمهات والآباء والأطفـال خلال العشر سـنوات السابقة ·· مؤكدا « لقد وجدنا أن الأشياء المتشـابهة أكثر كثيرا من الاختلافات » ·

واذا كانت هناك سلسلة من الدراسـات اسـتمرارا لهـذه الموجة التى تجتاح أمريكا والتى يلعب فيها الرجل ·· الزوج ·· الدور التقليدى للمرأة ·· للزوجة ·· ربة البيت ·· الأم ·· فان هنـاك أيضـا اسـتمرارا لهـذه الموجة ·· سلسـلة من الأفلام السينمائية التى تحاول التأكيد على أن هـذا الدور الجديد للرجل ·· من أخطرها وأشهرها فيلم « كرامر ضد كرامر » والذى حاول أن يدحض فكرة ان الأم تعرف أفضل دائما ·· والذى استعرض فيه « افرى كورمان » فى قصته التى قدمت بلغة سينمائية راقية ·· نمو حب الأب لابنه ·· حيث يقـوده هـذا الحب الى أن يفوز فى قضية حضانة هـذا الابن ·· ويقول « كورمان » انه يشك فى انه كان يمكن ان تكتب مثل هـذه القصة منذ عشر سنوات « لانه وكما يقول هو « ·· لم يكن هناك شكل للتعبير عند الرجل عن مشـاعر حبه نحو طفله ·· ان مثل هـذه الأشياء قد اخفيت عنا وكأنها سر يرقد فى الظلام ·· لقد خلقت حركة المرأة جوا سمح لنا بالتعبير عن عواطفنا » !

وأصـبحت ثقافة المجتمع الأمريكى الآن تقـول للرجل انه لا يكفى أن يحقق النجـاح فى العمل فقط لكنـه يجب أن يكون رب أسرة ناجحا أيضا !

ويقول أحد الأطباء النفسانيين أن المشكلة التى يواجهها الرجل حاليا هى انه يجد استحالة فى أن يكون الاثنين معا !!

وهى نفس المشكلة التى ظلت تواجه المرأة ومازالت تواجهها منذ أن خرجت الى العمل بين طموحها وبيتها ٠

لقد انعكس هذا التغير فى صورة الرجل الأمريكى فى البيت ٠٠ على صورته فى العمل ٠٠ فقد أصبح الرجال الذين كانوا يطالبون بساعات عمل اضافية « أوفرتايم » يرفضون ساعات العمل المتأخرة حتى لو كانت ستدفع لهم مضاعفة ٠٠ لقد تغيرت قيمة العمل عند الرجل ٠٠ وأصبح الأب مرتبطا بأطفال أحيانا مثل الأم وأحيانا أكثر منها ٠٠ وعن هذا تقول كاتبة الروايات « انى رويف » : « فى حفلات العشاء ٠٠ وعندما يصرخ الطفل باكيا فان الأب هو الذى ينهض ليرى ما يريده الطفل ٠٠ ان الرجل هو الذى يلعب دور الأمومة فى كثير من البيوت الأمريكية الآن » ٠

والذى يحدث فى بعض البيوت الأمريكية الآن ٠٠ يحدث بعد أن وقعت حالات طلاق كثيرة نتيجة لتفوق الرجل فى العلم وتقدمه عن المرأة وبعد أن أصبح يشعر بانها أقل منه ٠٠ يحدث هذا بعد أن بدأت الغيرة والمنافسة فى العمل تحتل مساحات كثيرة من الخلافات الزوجية ٠

يحدث هذا بعد أن أصبحت الدولارات هى السبب الرئيسى فى الخناقة التقليدية فى البيت الأمريكى ولا ينافسها سوى الجنس كسبب للشجار والخلاف الحاد ٠

يحدث هذا أيضا بعد أن أصبحت المرأة تسعى للاجهاض بسبب رغبتها فى الحصول على قدر من الحرية للاستمتاع بالحياة ٠

يحدث هــذا بعد أن بدأت حركة المرأة فى الستينيات ·· وبعد أن تدخلت الأسباب الاقتصادية ·· وبعد أن أصبح عمل الرجل وحده لا يكفى ·

يحدث هـذا بعد ان كان يقال للأمريكيين فى المـاضى ·· اذا لم تستطع الحصول على شىء تخلى عنه ·· لكن بعد التطور التكنولوجى الضخم والحروب وخاصة حرب فيتنام لم يعد هناك شىء يتحكم فى العلم ·· وأصبح يقال لهم ·· أفعل ما تريد ·· كل وتزوج لانك ربما تموت غدا ·

يحدث هـذا بعد أن أصبحت المرأة تشعر ان هنـاك شـكلا جديدا من أشكال العبودية فهى تعمل فى الخارج وتعود لتعمل فى البيت ·· وهو جالس مسترخ يشاهد التليفزيون ·· حتى أن بعض الزوجـات تحكمت فيهن الأنانيـة فأصـبحن لا يدفعن شـيئا من مرتباتهن وأصبحت معظم الخلافات تحدث لان المرأة تريد أن تحتفظ بمرتبها لنفســها ·

يحدث هــذا بعد أن قفزت مصاريف رعاية الطفل الأمريكى ·· فأصبح طفلا بمفتاح ·· أى أن يحمل مفتاحا حول رقبته ·· ليعود وحده ويفتح المنزل الخالى ليجلس وحيدا ·

يحـدث هـذا بعـد أن رأيت بعينى الزوج الأمريكى يسـبق زوجته التى تعمل معه فى نفس المبنى الى النزول لتناول الغذاء فى الكـافيتريا الملحقة حتى لا يدفع لها ثمن غـذائها !!

يحدث هــذا أيضـا رغم أنه كمـا قالت لى « ريبيكاسـيف توماشيفسكى » وهى احدى رائدات الحركة النسائية وتعمل فى منظمة البلاى بوى التى تمارس الكثير من الأعمـال الاجتماعية ·

« حتى الآن مازال يحدث فى بعض الولايات أن تتحول ملكية المرأة الى زوجها بعد الزواج ولا تستطيع هى أن تتصرف فيها ببيعها دون اذن منـه ·· حتى الآن مـازالت المرأة تمنع من التقـدم فى الوظائف والترقى لانها امرأة تماما كما يحدث مع السود ·· حتى الآن مازال هناك فرق كبير بين المرتب الذى يدفع للرجل والمرتب الذى يدفع للمرأة عن نفس الوظيفة » ·

قد لا يصدق أحد هـذا فى مجتمع أصبح فيه الرجل أما وربة بيت ·· لكنها أمريكا التناقض بعينه !!

● ● ●

الصراع
بسبب بنت المهاجر !

يحمل المصرى حقيبته ويرحل الى بعيد ٠٠ يهاجر ٠٠ وداخل هـذه الحقيبة ترقد أحلامه وآماله ومبادئه وقيمه التى تربى عليها فى مصر ٠٠ وعلى أرض الغربة ٠٠ على أرض « الفرى كانترى » ٠٠ يضع المصرى حقيبته ويبدأ رحلة صراع طويلة ٠٠ صراع لاثبـات نفسه ٠٠ لتحقيق النجاح ٠٠ وصراع التأقلم مع عالم الغربة ٠٠ وبعد سنوات قد يلتقط أنفاسه قليلا ويشـعر انه حقق جزءا كبيرا من النجاح الذى حلم به ٠٠ لكن صراعه للتأقلم مع عالم الغربة قد لا ينتهى ٠٠

فعالم الغربة ٠٠ عالم جديد ٠٠ مختلف ٠٠ عالم يملك فيه الجميع حريتهم ٠٠ الصغير والكبير ٠٠ عالم علاقات مفتوحة ٠٠ وأهم من ذلك ٠٠ علاقات معلنة ٠٠ ولا ينتهى صراعه وخاصة اذا كان بين ذراعيه أطفال صغار !

ماذا يفعل أى مصرى فى هـذه « الفرى كانترى » ؟

كيف يواجه الحياة هنا ! ؟

والأخطر من ذلك ٠٠ كيف يتعامل مع هـذه الحرية ٠٠ ،كيف يترك أبناءه يتعاملون معها ؟

هنا حقا يأتى الصراع ٠٠ الصراع الحقيقى الذى يواجه أى مصرى يعيش على أرض الولايات المتحدة الأمريكية ٠٠ وخاصة اذا كان أبا لأبناء ٠٠ والأخص اذا كان أبا لبنات !!

الغربة ، ربما تسمع هـذه الكلمة كثيرا ٠

ربما ترددها دول أن تشعر بمعناها الحقيقى ٠

الغربة أن تجد وجوها جديدة غير التى تعرفها والتى تعودت عليهـا ٠

الغربة أن تجد منطقا جديدا للأشـياء ٠٠ غير المنطق الذى تعودت عليه ٠

الغربة أن تجد قيما جديدة مختـلفة تمامـا عن القيم التى تعودت عليها ٠٠ قيما ربما تتناقض تماما مع قيمك ٠٠ قيم تلوى شفتيها أمام الكـذب والتراخى والكسل فى العمل بينما تسـتقبل الجنس بإبتسامة وتعتبره شيئا طبيعيا ٠

وربما تذوب الغربة ٠٠ فتعتاد على الوجوه الجديدة والحياة الجـديدة ٠٠ وتبقى الصـعوبة فى أن تعتاد على المنطق الجـديد للأشياء والأصعب أنتعتاد على القيم الجديدة ٠٠ أن تقبلها ٠٠ أن تجعلها تسير حياتك ٠٠ وتكون الصعوبة أشد اذا كنت متصالحا مع القيم التى تربيت عليها ٠٠ وتكون الصعوبة أخف اذا كنت على خصومة مع هـذه القيم القديمة ٠٠ لانك فى هـذه الحالة ستتعامل مع القيم الجديدة بنفس المنطق الذى كنت تتعامل به مع قيمك القديمة ستقبل الذى تقبله منها ٠٠ وترفض الذى ترفضه منها ٠٠ وتكون لنفسك قيما خاصة بك تؤمن بها وتسير بها حياتك ٠

المهم أن المهاجر نفسه يحاول أن يتخطى مشـكلة التأقلم مع المجتمع الجديد ٠٠ ويساعده ان يكون ـ عادة ـ فى سن قد تكونت

فيها شخصيته · لكنه يقف عاجزا أمام مشكلة التأقلم مع اندماج أبنائه وبالذات بناته مع هـذا المجتمع ·· سواء كان شديد الايمان بالمبادىء التى تربى عليها أو لا ·· لانه فى النهاية يجد فيها حماية لأبنائه وبناته ·· فى هـذا المجتمع الذى يؤمن بحرية الأبناء قبل حـرية آبائهم ·· المجتمع الذى يسـمع فيه عن الفتـاة المراهقة الحامل وعن تعاطى الهيروين والماريجوانا وحبوب الهلوسة فى المدراس ·· وعن الشباب الذى يقتحم البنوك والمحلات والسرقة ·· وعن انك يجب أن تقبل أن ابنك أو ابنتك مسئول عن نفسـ... سن السادسة عشرة ·

ماذا يفعل المهـاجر أمام هـذا السؤال : هل يقبل هـذا أم يرفضه ·· وماذا يفعل اذا رفضه ؟

استطيع أن أقول أن البعض يعود مرة أخرى الى مصر لهـذا السبب بالذات وليس لأى سبب آخر غيره ·

أما من يبقى فهو يدخل فى صراع حاد يصل أحيانا بالمهاجر هنا الى أن يحاول أن يكون أكثر تزمتا من أقاربه فى مصر ليؤكد لنفسه وللآخرين انه لم يفقد شيئا من قيمه ومن مبادئه ·· ولكن هل يفلح هـذا ؟ ! أو بمعنى آخر هل يصلح هـذا كعلاج للموقف هل يصلح كأسلوب حياة ·· هل هو منطقى ·· والأهم ·· هل هو واقعى ؟!

كـان طبيعيـا أن التقى هنـا بعدد كبير من المصريين ·· فالمصرى « يشم » وجود المصرى الآخر القادم « طازه » من مصر ·· والمصريون فى شيكاغو بالذات عددهم كبير ·· فهناك حوالى الفى عائلة مصرية تعيش فى شيكاغو وحدها وهو عدد ضخم لا يستهان بـــه ·

ومع هؤلاء المصريين كان لى أكثر من لقاء ‥ فى بيوتهم ‥ فى أماكن عملهم ‥ فى الأماكن العامة فى القنصلية المصرية فى شيكاغو ‥ وكان الحديث يبدأ دائما بالكلام عن النجاح فى العمل وينتهى بالكلام عن حرية الأبناء ‥ وماذا يفعل المصرى هنا مع أبنائه ‥ هل يربيهم على الطريقة الأمريكانى أو يربيهم على الطريقة المصرية وكما تربى هو ؟

هل يتركهم يتمتعون بحرية الأمريكيين ‥ أم يغلق عليهم الأبواب ‥ ويقيم داخل هذه الأبواب مجتمعا مصريا متزمتا بل أكثر تزمتا من واقع المجتمع المصرى فى الحقيقة ‥ وفى الواقع الفعلى الصريح وليس فيما يجرى على السطح وما يقال من كلام ٠

قال لى أحد المصريين « أنا أمنع ابنى من أن تكون له « جيرل فرند » أو صديقة ‥ رغم اننى عندما ذهبت الى مصر فى العام الماضى وجدت أن ابن أخى الصغير له جيرل فرند ووالده يسمح له بذلك ، ويقول طالما تحت اشراف الأسرة فليس هناك مانع ‥ أنا لا أعرف ما الذى حدث لهم فى مصر ‥ اننى أعيش هنا فى أمريكا ‥ بلد الحرية ورغم ذلك فلا أسمح مطلقا بهذا ‥ اننا هنا يجب أن نكون أكثر تمسكا بقيمنا ومبادئنا التى نشأنا عليها ‥ وأنا أعتقد اننا نفعل ذلك ‥ نتمسك بهذه القيم والمبادىء أكثر مما يتمسكوا بها فى مصر نفسها »٠

قد يصفق البعض لهذا الكلام ‥ ويحيى أن هناك من يتمسكون بمبادئنا وقيمنا بهذا الشكل ‥ لكن الأمر ليس اطلاق شعارات ‥ وليس تصفيقا حادا ‥ انه واقع يعيشه بشر بكل ما تحمله هذه الكلمة من نقاط قوة ونقاط ضعف ‥ بشر يواجهون غربة ‥ بشر يواجهون مجتمعا بأكمله ‥ مجتمع له طريقة حياة ‥ وأسلوب تفكير ‥ وقدر من الحرية ‥ فهل يعاندون هذا المجتمع ‥ يعطونه ظهورهم ‥ يغلقون على أنفسهم دونه ‥ أن هذا قد يستطيعه البعض اذا عاش فى هذا المجتمع بضعة أيام أو

بضعة أسابيع ‥ أما الحياة لسنوات ‥ الحياة لعمر بأكمله ‥ فهـذا شىء آخر ‥

وربما يكون الأمر أقل وطأة على الكبار ‥ الذين تشكلوا فعلا ‥ الذين كونوا حياتهم ‥ تزوجوا وأنجبوا ‥ أما الذين أنجبوهم فهم مركز الصراع ‥ بؤرته ‥ وغالبا ما يكونون أيضا ضحاياه !

وضمتنى جلسة غداء فى أحد مطاعم شيكاغو الراقية مع عدد من المصريين الذين يعملون فى شركة أبحاث ضخمة تعد من أضخم شركات الأبحاث ليس فى شيكاغو وحـدها ‥ ولا فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بل فى العالم . فهى شركة تقوم بتصميم محطات القوى ‥ وهى أكبر شركة صممت محطات قوى بالفحم فى العالم ‥ وتأتى فى المرتبة الثـانية فى العـالم فى تصـميم المحطـات النووية ‥ وهـذه الشركة الضـخمة التى يملكهـا تسعة عشر رجل أعمال ومهندسـا أمريكيا تضم خمسة آلاف فرد يعملون بها ‥ منهم أربعون مهندسا مصريا . وحوالى خمسة عشر من هـؤلاء المصريين يحتلون مراكز قيـادية خطيرة بالشركة ‥ ومع عـدد من هؤلاء ضـمتنى جلسـة الغداء هـذه بعـد أن قمت بزيارتهم فى مقر عملهم بالشركة ‥

وبدأ الكلام بالحـديث عن مصر ‥ ثم انتقل للحـديث عن تجربة كل منهم ‥ البداية ‥ الأيام الصعبة ‥ ثم النجاح ‥ ثم خطورة العمل فى الشركة ‥ وقلت ضـاحكة أن عملهم يواجـه تهديدا شديدا من حملات محاربة الذرة واقامة المحطات النووية ‥ قال أحمد المليجى وهو يحتل منصبا ضخما فى الشركة ويرأس عددا كبيرا من العاملين بها بحكم رئاسته لأحد أقسامها الضخمة .

قال بانفعال ‥ « الناس يجب أن تسـمع من لديهم الخبرة وليس روبرت كندى وهو سياسى وجين فوندا وهى ممثلة والاثنان

يبحثان عن شعبية ٠٠ هناك ٥٣ جمعية تأسست للمحطات النووية ٥١ جمعية تساند اقامة هـذه المحطات وجمعيتان فقط هما اللتان تقفان ضد انشاء المحطات النووية ٠٠ » ٠

وكان طبيعيا أن أسأله عن درجة الأمان فى هـذه المحطات للقوى النووية وهو الحديث المثار الآن فى أمريكا كلها خاصة بعد حادث التسرب الذى وقع أخيرا فى « ثرى ميل ايلاند » ٠

قال « لا توجد حالة وفاة ٠٠ ولا حالة وفاة واحدة نتيجة لتعرض زائد ٠٠ حتى حادث التسرب الاشعاعى فى « الثرى ايلاند » لم تكن نسبة الاشعاع فيها أكثر من نسبة الاشعاع التى من الممكن ان اتعرض لها اذا سافرت من نيويورك الى سان فرانسيسكو ٠٠ لانك عندما تصعدين الى طبقات الجو العليا تتعرضين لاشعاعات كذلك اذا سكنت فى بيت من الحجر تتعرضين لنسبة من الاشعاعات » ٠

وانتقل الحديث من الأمان فى محطات القوى النووية الى الأمان فى تربية الأبناء فى أمريكا ٠٠ قلت لهم بصراحة اننى شعرت ان المصريين هنا مهتمون باثبات انهم لم يتغيروا وبأنهم تماما كما هم ٠٠ وبانهم متمسكون بمبادئهم وقيمهم أكثر حتى من المصريين الذين يعيشون فى مصر وهـذا شىء يدعو للفخر حقا ٠٠ لكننى شعرت انهم يبالغون فى هـذا ويغالون فيه بشكل حاد ونسوا شيئا هاما جدا وهو ان هـذا الطفل الذى يربونه بهـذه الطريقة لن يظل يحيا معهم وانه قطعا سيخرج الى هـذا المجتمع وانه من الصحى نفسيا له الا يكون الاختلاف بينه وبين هـذا المجتمع حادا ٠٠ والا انزوى وانعزل ٠٠ وتقوقع ٠٠ ومات ٠٠ وان المطلوب نوع من المعادلة بين هـذا الطفل وبين المجتمع الذى سيعيش فيه ٠٠ ليسمح له بان يعيش فيه ٠٠ قال « أحمد المليجى » وقد بدا عليه الحماس الشديد ٠ « عظيم انك التقطت هـذا ٠٠ هـذه بالضبط مشكلة المصريين هنا ٠٠ انهم يغالون فى التشدد ٠٠ بينما الطفل

سيعيش يوما فى هـذا المجتمع ·· ويجب الا يكون منعزلا عنه ··
هناك بعض العائلات الأمريكية التى تربى أبناءها بطريقة معتدلة ··
تعطيهم الحرية وتعلمهم كيف يستغلونها وكيف لا يبالغون فيها ·

أما المصرى فهو يحيط نفسه وأولاده بأسوار حادة متزمتة وينسى انهم لن يعيشوا حياتهم داخل هـذه الأسوار وانهم سيخرجون يوما لهـذا المجتمع الذى يحاول عزلهم عنه » ·

واشترك المهندس « محمد شاهر البنا » وهو مهنـدس بنفس الشركة وهاجر منذ اثنى عشر عاما ·· فقـال ·· « الهجرة مثل أى شىء لها مزايا ولها عيوب ·· فالانسان يحصل على خبرات جديدة ليست موجودة فى بلده ·· وهو أيضا يتعرض لثقافة أخرى وهـذه الثقافة تضم أشياء جيدة وأشياء سيئة وهو يستطيع أن يختار ما يتعلمه من هـذه الثقافة ·· لكننى استطيع أن أقول لك أن العائلات المصرية وخصوصا الأب والأم يوجدون أنواع التعقيدات أمام أبنائهم ·

والنتيجة أن يحدث تصارع بين ما يراه الطفل فى المدرسة وبين الذى يحاولون تلقينه اياه فى البيت ·· وهـذا يقلل فرص الطفل الذى سوف يعيش يوما فى هـذا المجتمع فى أن يعيش ·· الطفل المصرى هنا يجب أن يكون فخورا بأهله ووطنه ويجب أن يتعلم دينه ·· لكننى لا يجب أن أضغط عليه حتى أدفعه الى الدخول فى صراع لن يدفع أحد ثمنه سواه · هو وحده » · وانضم للحوار المهندس دكتور ابراهيم الجندى وهو صاحب أكثر من اختراع ·· وصاحب تجربة نجاح بالمشاركة مع زوجته « ليلى » طبيبة التخدير ·· فقال « يجب أن يحـدث توازن بين ماتربينا عليـه وبين واقع المجتمع هنا ·· ويجب أن نربى أطفالنا كما نحب على الا نسـبب لهم العزلة عن المجتمع الذى سيعيشون فيه » ·

وفى جلسة هادئة فى المنزل الأنيق الذى يضم أسرة الدكتور ابراهيم ·· يضم أبناءه وهم ثلاثة أبناء وبنت صغيرة هى منى ··

وهى أجمل كوكتيل مصرى أمريكى ·· فالملامح شـديدة المصرية واللسان ينطق اللكنة الأمريكية ببراعة من نشـأ لينطق بها وليس من تعلمها على كبر ·· كان واضحا ان هؤلاء الأبناء الذين يتكلمون بلكنة أمريكية ويفكرون بأسلوب أمريكى لا يمكن أن يكونوا صورة طبق الأصل من أبناء أى أسرة مصرية تعيش على أرض مصر ·· وربما لن يكونوا صورة طبق الأصل من أبناء أى عائلة أمريكية ·· فالمطلوب معـادلة تسـمح لهؤلاء الأبنـاء الذين نشأوا فى هـذا المجتمع بالتأقلم معه ولكن المشـكلة أن المصرى هنـا يتوقع دائما الاتهام بانه قد تخلى على أصله فيدافع عن نفسه بالمغـالاه مع أن التسليم بان هناك اختلافا بين مجتمع وآخر لا يحتاج الى الكثير من النقاش ·· ومحاولة نقل مجتمع وزرعه فى مجتمع آخر محاولة محكوم عليها بالفشـــل ·

وربما شـعرت بمدى حجم هـذا الاختلاف من حـوار دار أمامى بين أب مصرى يعيش هنا لعدة شهور فقط وسيرحل عائدا وبين أب مصرى هاجر منذ سنوات بعيدة واستقر هنا ·· فقد قال المهاجر انه رغم كل مـا حققـه من ثروة يصر على أن يعمل ابنه الصغير فى الصيف ليكسب نقودا بنفسه ويعتاد على أن يعتمد على نفسه ·· فانفعل الأب المصرى الذى يعيش هنا فترة محددة والتفت الى قائلا بحدة « أنا لا أعرف ما الذى يحـدث للمصريين هنا ·· أنا أجعل ابنى يعمل ليكسب فلوس وأنا أملك ثروة ·· كيف يهون على أن أمرمط ابنى فى بيع الجرائد أو زجاجات اللبن » ·

وابتسمت ·· أن هـذا الحـوار ليس أكثر من المسـافة بين مجتمعين ·· وكل مجتمع له قوانينه ولكن المؤكد انك لا تستطيع ان تنقل مجتمعا لتزرعه داخل آخر ·

● ● ●

وداع الرعب
فى
شيكاغو !

بعد أن تقضى عدة أسابيع فى المكان ·· تصبح هـذه الحجرة الضيقة عزيزة عليك ·· أليفة ·· اختلطت جدرانها وأثاثها بأنفاسك ·· بأفكارك ·· بدموعك ·· بضحكاتك ·· وتصبح الوجوه التى كنت تخطىء فى أسماء أصحابها ·· أصدقاء يصعب عليك فراقهم ·· وتصبح أيام الدراسة المرهقة ·· ذكريات تظل معلقة بذاكرتك لا يأكلها النسيان ·

مرت الأيام والأسابيع بسرعة ·· وتناثرت ذكريات ·· ذكرياتنا فى قاعات الدراسة بالمركز حجراتنا والمطعم وحتى حجرة الغسيل ·· صداقات عقدتها ·· أفلام شاهدناها ·· حفلات راقصة شاركنا فيها ·· نزهة خلوية ·· حفلة موسيقية ·· مناقشة حادة ·· وازداد ضغط كل شىء ·· ضغط العمل ·· ضغط انجاز كل شىء ·· يجب أن ننهى الحملة الاعلامية التى طلبها دكتور « بوج » ·· يجب أن نعد البرنامج التليفزيونى الذى طلبه مستر « سبراى » ·· يجب أن ننتهى مما نريد شراءه ·· هناك متحف لم نزره ·· هل ستصلح حقائبنا لحمل ما استجد من امتعة أم اننا سنحتاج الى حقائب جديدة ·· ويمضى الوقت سريعا ·· وتقترب لحظة الوداع ·

واختلطت مشاعر الوداع التي كان لها طعم الحزن الحلو بمشاعر الرعب الشديد ·· فبعد ان كنا قد تألفنا مع المكان وأصبحنا ننفذ كل تعليمات الأمن بحذافيرها ·· ولم نعان من التعرض لأى حادث الا عندما خرجنا عن هذه التعليمات فى لحظة تهور أو بدون قصد ·· مثلما حدث عندما تأخر عدد قليل منا داخل المركز فى تنفيذ وتسجيل بعض البرامج التليفزيونية القصيرة التى قمنا باعدادها ·· حتى تعدت الساعة العاشرة مساء كنا قد بدأنا فى السابعة ·· وكنا ثلاثة فقط نريد تنفيذ البرامج التى أعددناها واستعان كل منا ببعض الزملاء ·· ولأن عددنا كان قليلا جدا ·· فقد تبادلنا مساعدة بعضنا البعض بتبادل الأدوار فى التمثيل والاخراج والتصوير ·

وتأخر الوقت ·· وكان العمل تقريبا قد انتهى ·· ولم يبق سوى تنفيذ البرنامج الذى أعده « بدرو » زميلنا فى السلفادور الذى لديه العديد من الميول الفنية والذى عمل لفترة فى تليفزيون السلفادور والذى يعشق رسم الوجوه وسجل ملامح عدد من زملائنا فى الدورة برسومه الرائعة ـ وبقيت أنا وزميلتنا « ايفلين » من « هايتى » وزميلنا باتريس » من « رواندا » معه بينما رحل الآخرون ، وعندما انتهى بدرو من تسجيل برنامجه ·· بقى ليعيد كتابة بعض اللقطات التى رأى ضرورة اصلاحها على أن يعيد تسجيلها فى يوم آخر ·· ووجدت ان الوقت قد تأخر فاقترحت على ايفلين أن نرحل نحن ·· متصورة أنه مادامت المسافة بين المركز والبيت الدولى ليست بعيدة فان الأمر لا يستلزم أن يصحبنا أحد ··

وخرجنا الى الطريق ·· كان الجو رائعا والظلام يحيط بنا ·· وفى منتصف المسافة اقتربت سيارة تسير بسرعة مجنونة ·

وفجأة أخذت تحتك بالرصيف بحدة ، انتشرت البرودة فى كل جسمى ·· واستطعت أن اتبين أن بداخلها أربعة شبان سود · كان

واضحا انهم فى حالة سكر شديد ‥ وأمسكت كل منا بيد الأخرى وابتعدنا عن حافة الرصيف ‥ كانت تمتد على يميننا مساحة خضراء شاسعة منحدرة ‥ وبدأنا نسير على الرصيف وكأننا نركض والسيارة تطاردنا وتندفع منها صيحات صاخبة ‥ حتى وصلنا الى مواجهة البيت الدولى ‥ بضع خطوات أخرى ونعبر الشارع ونصبح فى أمان ‥

وعندما هممنا بان نعبر الشارع ‥ اندفعت السيارة ناحيتنا بسرعة مجنونة فعدنا بظهورنا لنقفز على الرصيف ‥ كنا نرتعش من شدة الخوف ‥ وكنت أشعر أن ساقى ستخوناننى ولن تقويا على حملى من شدة ارتعاشهما ‥ وابتعدت السيارة قليلا الى الجانب الآخر من الشارع ‥ فحاولنا أن نعبر الشارع مرة أخرى لكن السيارة اندفعت تكرر ما فعلته ‥ بينما اندفع اثنان ممن بداخلها بجسديهما خارج نوافذها من الناحية التى تقابلنا وامتدت أذرعهما نحونا ‥ صرخت « ايفيلين » صرخة مخنوقة ‥ واطبقت شفتى على صرخة كادت تفلت ‥ ووقفنا نتلفت حولنا ‥ نبحث عن أى شىء ‥ أى انسان ‥ ولو اننا كنا نعلم أن أى انسان لن يجرؤ على الاقتراب منا فى هذا الموقف ‥

وابتعدت السيارة قليلا ‥ ثم اندفعت نحونا فى حدة وقد تعالت صرخات من بداخلها أكثر ‥ كان يجب أن نتصرف بسرعة قبل أن يتطور الأمر الى ما هو أكثر من هذا ‥ واندفعنا نسير حتى واجهنا باب البيت الدولى تماما ‥ كانت السيارة قادمة ‥ وفى لحظة وبدون أن نتبادل أى كلمات ‥ اندفعنا أمام السيارة التى كانت قادمة نحونا بسرعة مجنونة ‥ كادت مقدمتها تصدمنا ‥ عدونا حتى باب البيت الدولى بينما صوت فرملتها يحدث صريرا عاليا من شدة احتكاكها بالأرض ويعلو عليه صرخات وضحكات راكبيها التى انطلقت عالية ‥ صاخبة ‥ مخمورة !!

لم تمر سوى بضعة أيام ‥ حتى وقع الحادث التالى ‥ حينما عرضت على « هاريش » أن نذهب الى أى مكان لنتناول

الطعام بدلا من تناوله فى مطعم البيت الدولى ·· كانت تعـانى من حالة الملل التى تنتابها دائما ·· وقالت انها تعرف مكانا جميلا داخل الجامعة ·· كنت أنا الأخرى أشـعر بالاجهاد والرغبة فى التغيير فوافقت وذهبنا لكن المكان كان قد أوصد أبوابه ·· وسألت « هاريش » سيدة ورجلا يجلسان فى مكتب استقبال المبنى الذى يقع فيه المطعم ·· فقالا أنه يغلق أبوابه فى الخامسة وكانت الساعة تقترب من السادسة ·· وسـألتنا السـيدة « هل تريدان مكـانا تتناولان فيه طعامكما » ولمـا أجبنا بالايجاب اندفع الرجل يذكر اسم أحد المحلات ·· لكن السيدة قاطعته قائلة ··

« لا ·· هـذا مكان لا يصلح ·· انهما فتاتان وبمفردهما ·· اذهبا الى محل فلالا » ·· وسألتها « هاريش » بحماس عن مكانه ·· فقالت السيدة انه يقع فى شارع خمسة وخمسين ·· واندفعت « هاريش » الى خارج المبنى وهى تقول فى حماس وقد زايلها مللها تماما ·· « يجب أن نبحث عن تاكسى » ·· حاولت أن استوقفها وأنا أقول لها أن المحل يقع فى المنطقة التى حذرونا منذ أول يوم من الذهاب اليها أو التجول فيها ·· قالت « اننـا سـنذهب فى تاكسى » ··

قلت ان هـذا لن يغير شيئا ·· قالت بالحاح « لن يحدث شىء لا تخافى » ·· وقبل أن أرد كانت قد استوقفت سيارة أجرة ·· ودفعتنى أمامها الى داخلها وهى باسمة متحمسة وأنا أشعر بشىء كاقتراب الخطر ·· أعطت السائق العنوان ·· فنظر الينا يتفحصنا وتحرك بالسيارة ·· حتى وصلنا الى الشارع فنظر الينا الرجل قائلا « هل انتما متأكدان من أن هـذا هو الشارع الذى تريدانه » ·· كان تساؤله يحمل طعم الدهشة ··

واندفعت هاريش تؤكد له أنه هو ·· ومن خلال زجـاج نافذة السيارة أخذت تستعرض لافتات المحلات المضـاءة باحثة عن اسم المحل ·· حتى هتفت « هـذا هو المحل » نظر السائق جيـدا

والتفت يقول لنا بدهشة « تقصدين هـذا المحل ، فتح عينيه على أخرهما وقد ازدادت دهشته وهو يقول :

« هل أنت متأكدة » ·· قالت هاريش « نعم ·· نعم » ·· وكأن الرجل وجد صعوبة في التصـديق فعـاد يقـول هل انتما متأكدتان انكما تريدان النزول هنا حقا ·· هزت هاريش رأسـها بالايجاب ·· بينما أحسست أن لهجة الرجل تشير الى أن شيئا غريبا يحدث ·· نظرت الى الشارع ·· بعض المحلات مضاءة ·· العديد منها مغلق ومطفأة أنواره ·· مساحات من الشارع مضاءة ومساحات مظلمه ·· بينما هناك عدة أشخاص يسيرون ·· والمهم أنهم جميعاً من السود ··

وبدأت أعرف لـماذا يتشكك الرجل في اننا يمكن أن ننزل في هـذا المكان ·· وعندما حاولت فتح فمي لأناقش « هاريش » في ضرورة التراجع عن الفكرة والعودة الى البيت الدولي ·· كانت قد ناولت السائق الدولارات وهي تدفعني أمامها للنزول قائلة :

« سنتحاسب فيما بعد » ونزلنا وقد أصابتني حالة من الشلل الذهني والعجز عن التصرف ·· واندفعت هي ناحية باب المحل ·· وامتدت يدها تدفع الباب ·· وانفتح ·· وواجهتنا وجوه سوداء وعيون محمرة من شدة السكر ·· واقتربت الوجوه نحونا في دهشة ·· بينما لمعت العيون المحمرة وارتفعت صيحات مخمورة ·· بينما رفعت الأيدي كؤوس الشراب ··

لم يكن سوى بار ومن الدرجة العاشرة وكل زبائنه من السود تجمدت يد « هاريش » على مقبض الباب من شدة الصدمة ·· بينما شعرت أنا وكأن قدمي قد شلتا تماما وتسمرت بالأرض ·· ووقفنا مسـمرتين لحظة ·· حتى شـعرت بالخطر يزداد زحفـا وهـذه الوجوه والعيون والأيدي تزداد اقترابا وهي تصرخ « هاي مس ·· تفضلي » ··

ووجدت نفسى وأنا انتزع قدمى من الأرض بصعوبة وأجر « هاريش » وننطلق نحن الاثنتين الى منتصف الطريق حتى كادت السيارات تدهمنا ·· بحثت عيناى عن أى سيارة أجرة ·· دون جدوى ·· وفى لحظة لمحت على الرصيف الآخر الواجهة الزجاجية لمطعم يبدو هادئا ·· بدت بداخله وجوه محترمة لنساء ورجال ·· سود وبيض يتناولون طعامهم ·· وفى لحظة كنا أنا و « هاريش » نقتحم المكان لنجلس على أول مائدة قابلتنا ··

وبعد أن هدأنا قليلا تناولنا طعامنا ونحن لا ندرى ما الذى نأكله ·· ولا نفكر فى أى شىء سوى كيف سنعود ·· كيف سنخرج مرة أخرى الى هـذا الشارع الذى يجثم فيه الخطر ·· ونادت « هاريش » على الجرسـون وسـألته أن يخرج معنا عندما نرحل ليكون بصحبتنا حتى نجد سيارة أجرة ·· لكن الشاب اعتذر بانه لا يستطيع ترك عمله ·· ونسينا من شـدة الرعب والارتباك أنه يمكننا أن نطلب سيارة أجرة بالتليفون ··

ومرة أخرى واجهنا الخروج الى الشارع ·· الى المجموعات السائرة ·· وهى تترنح ·· الى الوجوه التى تحدق ·· ووقفنا نتلفت حولنا واقتربت مجموعة عابثة ·· فحبسنا أنفاسـنا وكان صوت أنفاسنا هو الذى سيلفت نظرهم الينا ·· القوا ببضع كلمات ثم مروا ·· وخرجت أنفاسى مهدودة من صدرى ·· وكان عسيرا أن نجد سيارة أجرة هنا فقد سمعت من قبل أن سـائقى التاكسى يخشون الاقتراب من هـذه المنطقة كلها ·· مرة سيارة بوليس ·· وأبطأت قليلا أمامنا ثم عبرتنا ·· وبعد أن سـارت قليلا أدارها قائدها ليعبرنا مرة أخرى ·· ثم تلتها سيارة بوليس أخرى تتوالى الواحدة بعد الأخرى لتسير قليلا ثم تعود فى الاتجـاه المعاكس أمامنا ·· وكلما مرت أحداهما أمامنا أبطأت قليلا ·· وفجأة ظهرت سيارة أجرة ·· ولم أصدق نفسى ونحن نندفع بداخلها ·

وعرفت بعد ذلك أن سـيارات البوليس التى أخـذت تحوم حولنا كانت تنتظر أن نطلب منها المساعدة لانتشـالنا من هـذا

المكان الخطر ·· ولما لم نطلب المساعدة تصوروا اننا لا نريدها ··
ولم يدر فى ذهنهم اننا لا نعرف أن هـذا من ضمن وظيفتهم هنا
وانهم كان من الممكن أن يقوموا بتوصيلنا ·· ومرت عدة أيام على
هـذا الحادث ·· وأنا ازداد يقينا فى كل يوم أن السود فى أمريكا
هم الشوكة التى لا تكف عن ايلامها ··

وقد سبق ان قال لى أحد الذين عاشوا هنا فترة طويلة وقبل
أن أحضر الى هنا ·· انك لو عشت فى أمريكـا قليلا ستصـبحين
عنصرية عندمـا تجدين ان كل المشاكل تأتى عـادة من السـود ·
وقد يكون هـذا حقيقيا ··

لكن الأهم هو ما الذى دفعهم ليصبحوا هكـذا ·· هل هو
الاضطهاد ·· هل هو مهانة المعاملة باحسـاس انك الأقل ·· هل
هى سنوات العبودية الطويلة ·· وخاصة ان هناك سودا محترمين
متعلمين راقين يتقلدون مناصب كبيرة ويرتفعون عن كل هـذا ··
لكن التعصب والعنصرية يمكن أن تفتت أقوى العقول وتهزم أكثرها
موضـوعية ·· هل ينتقمـون من كل هـذا ·· هل يسـخرون من
المساواة التى تظهر على السطح ولا تمتد الى ما فى القلب ··
ولذلك يعلمك المجتمع هنا أن تأخذ حذرك من أى أسود تراه خاصة
اذا لم يكن أنيقا ··

فالأسود عنـدما يكون محترما ناجحـا يهتم باناقته بشـدة
تفوق اناقة الأمريكى واهتمامه بها ويستوى فى ذلك الرجال والنساء
·· ولذلك عندما ترى أسـود غير أنيق ·· تعلمك الأيام هنـا كيف
تجرى ضربات قلبك بسرعة وكيف يتجسد فيه الخطر · وقد حدث
لى ·

كنت قد انتهيت من الاجابة على أسئلة امتحان مادة السكان
·· وكان جهاز التكييف بالمركز يعانى عطلا جعل درجة الحرارة
داخل المركز منخفضة بشدة ·· فنشـعر بالبرودة الشـديدة رغم

أن الجو فى الخارج كان صـحوا مشـمسا ·· ولانى انتهيت من الامتحان مبكرة ·· ولانى أردت انتظار بعض الأصـدقاء الذين كانوا لم ينتهوا بعد من الامتحان فقد فضلت الاسترخاء على الحشيش الذى يمتد أمام باب المركز ، جلست فى استرخاء مستسلمة لأشعة الشمس الدافئة ·· عندما رأيت عملاقا أسود مهلهل الثياب ·

راسه حليق تماما وفى منتصفه بالضبط خصلة شعر طويلة تنحدر على رقبته على هيئـة ذيل حصـان طويل ·· كان منظره غريبا ·· فاشحت بوجهى الى الناحية الأخرى ·· لكننى فوجئت به وقد انحنى نحوى وهو يردد بضع كلمات لم أسمعها من شـدة الرعب ··

ونسيت كل التعليمـات التى لقنوها لنا بانه اذا طـلب منك أحدهم نقودا لا ترفض بل اعطه ما يريد والا وجـدت مدية تتغرز فى جسدك ·· لكن رعبى منعنى من أن أتبين ما يقول ·· فقد شل الرعب كل شىء ·· عقـلى وأذنى ·· ولم أعـرف كيف التقطت حقيبتى وكتبى وأوراقى ·· واندفعت أعدو نحو الباب لادفعه وأدخل الى داخل المركز وقد تسارعت دقات قلبى ··

رغم هـذا لم أكن أشعر ان هـذه الحوادث تعد شيئا يذكر او تعتبر على درجة عالية من الخطورة ·· وخـاصة اننا نقيم فى جنوب شيكاغو حيث تقول لك الدراسات السكانية الأمريكية ·· اذا كنت تعيش فى جنوب شيكاغو فانك يمكن ان تموت من العنف ·· حتى جاء الأسـبوعان الآخيران واصـبحنا وكأننا أبطـال نعيش محبوسين داخل سيناريو لأحد أفلام هيتشكوك ·· سيناريو ملىء بالرعب والاثارة ··

فقد بدأ الأمر عندما عاد « باتريس » زميلنا من الدورة الى حجرته فى البيت الدولى ·· بحث طويلا عن نقوده ·· لكنها كانت قد اختفت ·· لم يكن الباب مكسورا ·· لم يكن هناك أى أثر لاستخدام

العنف فى الدخول الى الحجرة ‥ وشعرنا جميعا بالأسف من أجل « باتريس » ‥ فان أسخف موقف يمكن أن تتعرض له وأنت فى رحلة أو فى مكان غريب بعيد عن وطنك هو أن تسرق نقودك التى تعتمد عليها للحياة فى المدة التى ستقضيها ٠

ولم نكن قد أفقنا بعد مما حدث لباتريس ‥ وفى اليوم التالى مباشرة ‥ عاد « بولوندو » وهو زميلنا فى الدورة من « زائير » ‥ عاد الى حجرته ‥ فتح الباب ‥ ووقف مصعوقا كانت الحجرة مقلوبة ٠

انخلع قلبه ‥ فقد كان بالحجرة كل الهدايا التى اشتراها لأسرته ‥ كل ما اشتراه لنفسه وكل حاجياته ‥ كانت كل هذه الأشياء مبعثرة هنا وهناك والأدراج مقلوبة ‥ لكن لم يكن هناك شيء ناقص ‥ ويبدو ان من كان يبحث ‥ كان يبحث عن نقوده فقط ‥ ولم يكن يريد أى شيء آخر سوى النقود ٠

وليت الأمر توقف عند هذا ‥ ففى الليلة التالية وبينما كانت « ايفيت » زميلتنا من هايتى نائمة فى حجرتها شعرت وهى فى المسافة بين الشعور بالواقع والتصور بانها تحلم ‥ بيد تدير مقبض باب حجرتها وتحاول فتحها ‥ وفتحت « ايفيت » عينيها وقفزت جالسة فى فراشها وهى تتصور انها كانت تعانى كابوسا ‥ لكنها سمعت حركة خلفها والتفتت ‥ وعلى ضوء القمر المتسلل من زجاج النافذة رأت مقبض الباب يتحرك وتجمدت رعبا فى مكانها ‥

وكأنها سلسلة لا تنتهى ‥ ففى اليوم التالى كانت صديقتها وزميلتها « ايفلين » نائمة فى حجرتها عندما شعرت بأقدام تسير أمام باب حجرتها ٠ استوت فى فراشها وأخذت تصغى السمع ٠ ولم ينقطع صوت الأقدام التى أخذت تروح وتجيء أمام باب الغرفة ‥ ووقفت ايفلين فى وسط الحجرة وأخذت تدور حول نفسها وهى لا تدرى ماذا تفعل ٠

وتحركت كل الأجهـزة ٠٠ بوليس الجـامعة ٠٠ أمن البيت الدولى ٠٠ المسئولون فى مركز الدراسات فقد كان من الغريب حقا ان هـذه الحوادث المتتالية لم تقع سوى لأفراد مجموعتنا ٠٠ مجموعة الدورة الدراسية التى تدرس بمركز السكان ٠٠ رغم أن البيت الدولى ممتلىء عن آخر بسكان آخـرين من طلبة الجـامعة وأعضاء الدورات الدراسية القصيرة والصيفية ٠٠ فلماذا نحن بالذات ٠٠

وخاصة اننا لا نقيم كلنا فى جنـاح واحـد بل منتشرون فى جناحى البيت ومختلف طوابقه ٠٠ هل هو احدنا الذى يفعل ذلك ٠٠ ولمـاذا ٠٠ ولم يجد أحد أى اجابة وعشت الأيام الأخيرة لأعود الى حجرتى فى كل مرة وأنا اتساءل هل تعرضت للسرقة ٠٠ وعندما أنام أحكم اغلاق البـــاب ٠٠

وودعنا شيكاغو ٠٠وودعتنا وفى عيوننا دموع الفراق ٠٠ فراق المكان الذى عشـنا فيه وأحببنـاه ٠٠ فراق أيام تركنا فيها مشاكلنا بعيدا وعشـنا بلا مشـاكل ٠٠ فراق وجـوه عرفنـاها وأحببناها ٠٠ « كاتيو » القادم من المحيط الباسفيكى من جزيرة سليمان والذى يجعلك فى لحظة تتصور انه الانسان البدائى الأول وهو يتخيل انه الوحيد الذى جـاء من جـزيرة بينما نحن جميعا مختلفون ٠٠ نحن سـكان قارات !! وهو لذلك يردد دائمـا ٠٠ « أمريكا قارة ٠٠ سوف أغزوها أنا القادم من مجرد جزيرة » !

« بدرو » من السلفادور بقلمه وهو يرسمنا جميعا وبابتسامته وحبه للجميع ٠٠ جامع يوسف من الصومال بصـوته الخـافت ومحاولته الحديث بالعربى ٠٠ « كاى » التايلاندية الرقيقة التى كنت أضبطها أحيانا فى المحاضرات وهى تكتب خطابا لحبيبها ٠٠ فى لحظة ينتهى كل شىء ٠٠ الضحكات ٠٠ المداعبات ٠٠ الغضب ٠٠ المنافسة ٠٠ ويأتى المشـهد الأخير ٠٠ حفلة التخـرج ٠٠ توزيع الشهادات ٠٠ تبادل الأمنيات ٠٠ وتبادل العناوين ٠

حزم الحقائب ·· نقل الكتب والمذكرات لشحنها ·· البحث عن شيء ربمـا نكون قد نسيناه ·· وتعود الحجرات خـالية ·· جرداء ·· وفى صباح مبكر أحمل حقيبتى وأهبط الى البهو ·· ورقة فى المواجهة كتبها بدرو الذى رحل قبلى « وداعا ياأصدقائى » ·· وجاء « بيت » الكـورى و « يوسـف » اللبنـانى وحملا حقيبتى وأشيائى ·· وانطلقت السيارة تحملنى وحقائبى وأيد تلوح لى ولأيام قضيتها هنـا ··

وداعا شيكاغو سوف أتذكر بحيرتك الجميلة ·· سوف أتذكر جمالك وناطحات سحابك العالية مضاءة فى لوحة فنية رائعة وهى تطل على مياه البحيرة السوداء ·· وداعا شيكاغو لن أنسى انك علمتنى ان المدنية يمكن أن تتمتع بهذا الجمال ·· وداعا شيكاغو سوف أتذكر جمالك ·· سوف أتذكر صداقاتى فيك ·· سوف أتذكر أياما من عمرى ملتحمة بكل شبر فيك ·· وسأنسى لحظة ضيق ·· سأنسى كلمة ضايقتنى ·· سأنسى لحظة جفاء ·· وداعا شيكاغو ·· وأهلا نيويورك ·

● ● ●

نيويورك

المتعة ٠٠ والخطر !!

كان لابد أن أرى نيويورك ·· فمن لم ير نيويورك لا يشعر انه رأى أمريكا ·

اقلعت الطائرة من شيكاغو لتهبط فى مطار كيندى الدولى ·· وعبرت البوابات الى خارج المطار ·· الى الشارع ·· الى نيويورك التى يحمل ذهنى عنها مئات التصورات والحكايات ·· وعندما تزور مكانا تكون قد سمعت عنه الكثير ·· يتزاحم فى راسك كل ما سمعته ·· ويلح عليك سؤال واحد ·· هل كل ما قيل لك حقيقى ·· هل هكذا تبدو نيويورك فعلا !

والغريب حقا انه دائما ما يحدث ان تجد المكان مختلفا تماما عن كل ما سمعته عنه ·· وهذا بالضبط ما حدث لى مع نيويورك ، فنيويورك تبدو للوهلة الأولى مدينة مرحبة وكأنها تستقبلك وهى فرحة بك وتفتح لك ذراعيها ·· انك تشعر وانت سائر فى شوارع نيويورك ·· فى « مانهاتن » قلبها الحى النابض باحساس من المرح يسرى فى كل شىء ·

واذا كانت أحياء نيويورك المترامية قد تبدو قريبة الشبه فى بعض الأجزاء فى الولايات المتحدة الأمريكية ·· الأخرى الا أن

« مانهاتن » تبدو شيئا فريدا ·· مليئا بالحياة ·· بالحيوية ·· بالمرح ·· بالتناقضات ·· بالخطر ·· بالمتعة ·· انك فى « مانهاتن » يمكن أن ترى أى شىء ·· يمكن أن تصطدم بأى شىء ·· ولا يمكن أن تتوقع شيئا ·

عندما اخترقت السيارة الأجرة شوارع نيويورك ·· لتخترق قلبها ·· تخترق مانهاتن كنت أنظر حولى بانبهار ·· بفضول ·· ان مانهاتن هى نيويورك فى ذهن الكثيرين وفى ذهنى ·· فالناس كلها تتصور ان نيويورك هى هذه الشوارع المتوالية المتقاطعة والتى ترتفع فيها حتى عنان السماء ناطحات السحاب ·· أن مانهاتن ليست سوى قلب نيويورك المترامية فى أحياء كثيرة لكنها صورة نيويورك فى أذهان الناس جميعا ·

وصلت السيارة الأجرة الى الفندق وهبطت واتجه السائق الى الخلف ليخرج الحقائب وانحنيت لالتقطها منه ·· لكننى شعرت بصوت يخترق أذنى قائلا : « أنت مصرية ·· أنتم بتكرهونا ليه ·· احنا مش مسئولين عن أى حاجة حصلت لكم » ··

والتفت لأرى شابين أحدهما وقف صامتا أما الآخر فقد كان هو الذى يتحدث ·· قلت له فى تساؤل « انتم من ؟ » قال : « نحن الايرانيين » وأدركت انها محاولة لجر رجلى الى مناقشة سياسية بطريقة مبتكرة عن طريقة الهجوم لأنبرى فى الدفاع والنفى ·· وربما يتعرض كل منا لمثل هذه المحاولة عندما يكون بعيدا خارج وطنه ·· ولكنها فى العادة تحدث فى جلسة ·· على مقهى ·· فى وسيلة مواصلات · أثناء الانتظار على احدى المحطات ··

أما أن تحدث على الرصيف ·· ولم تكد قدمى تلمس أرض الشارع ·· وأنا أبحث عن حقائبى وحاجياتى لانقلها خارج التاكسى ·· فلم تكن اللحظة مناسبة على الاطلاق لمثل هذه المحاورات السياسية لكنها نيويورك ·· ونيويورك وحدها التى يمكن أن يحدث

لك فيها هـذا فهنا محترفو السياسة فى كل أنحاء العالم ولا يبحثون عن شىء سوى المناقشة ·· والمناقشـة لوجه المناقشـة فقط وليس لسبب آخر ·

سحبت حقائبى واندفعت الى مدخل الفندق دون أن أنطق حرفا ·· ويبدو أن هـذا التصرف الغريزى كان أفضل ما يمكن أن افعله فقد قيل لى بعد ذلك اننى اذا كنت قد استسلمت لمثل هـذه المناقشة فان الله وحده يعلم على ماذا كان يمكن أن تنتهى !

تتعلم أيضا فى نيويورك أن ما يختزنه عقلك عنها من معلومات قد أصبح قديما جدا وغير صحيح ·· فقد كنت أسـمع دائما أن « الامباير ستات » هو أعلى ناطحات السحاب فى أمريكا والعالم ·· وأعلى ناطحة سحاب فى مدينة ناطحات السحاب ·· فى نيويورك لكننى اكتشفت أن هـذه المعلومة قديمة جدا وانها لم تعد صحيحة ·· اكتشفت هـذا وأنا أطل لأرى نيويورك كلها تحت أقدامى من أعلى مبنى « الوورلد ترادتور » ·

وهو مبنى منقسـم الى مبنيين توأمين يحملان نفس الاسـم ويضمان العديد من المحلات والمكاتب التجارية وفى القمة بانوراما زجاجية تجعلك ترى مانهاتن بل نيويورك كلها وكأنها تسجد تحت قدميك ··

ووسط العديد من المبانى يبدو مبنى « الامباير ستات » وقد أصبح قزما لهـذين المبنيين العملاقين ·· والأمريكى اذا تذكر أن يشـير لك عليـه ·· يقول لك كان هـذا المبنى يوما أعلى مبـانى نيويورك والعالم ، لكن لم يعد الآن كذلك ·

وأعتقد اننى اذا جئت الى نيويورك بعد سنوات قليلة فسوف يقـال لى نفس هـذا الكلام عن مبنى « الوورلد ترادتور » بعد أن يكونوا قد تمكنوا من اقامة مبنى أعلى منه !!

ان جولة سريعة فى نيويورك تجعلنى أشعر أن درجة الحيوية هنا أعلى ·· واختلاف الأجناس أوضح وكأنها مدينة قد جمعت بين كفيها كل العالم ·· ودرجة الأناقة تزداد هنا درجتين على أجساد الناس وفى واجهات المحلات الزجاجية عنها فى باقى أنحاء أمريكا ··

كما أن التناقض يزداد درجات فى تصرفات البشر وفى الحياة من حى الى حى ·· فاذا كانت مانهاتن هى قمة الحضارة وقمة المدنية ·· ناطحات السحاب ·· الشوارع النظيفة المتسعة المخططة بذكاء يسهل عليك التحرك ·· المطاعم الراقية ·· الملاهى ·التكنولوجيا فى آخر بصماتها · فعلى الناحية الأخرى وفى « بروكلين » تجد القذارة المتناهية ·· أكوام الزبالة ·· عندما رأيت بروكلين لم أصدق اننى فى نيويورك ·· بل اننى فوجئت فى قلب مانهاتن ·· فى شارع المتعة ·· شارع الفن ·· شارع السهر ··

فى برودواى ·· فوجئت بمشهد لا يمكن أن تصدقه اذا حكاه لك أحد ·· بل أن عينى رفضتا تصديقه ·· فعلى الناحية الأخرى ·· وفى الشارع المقابل لشارع برودواى صندوق قمامة كبير رأيت رجلا يبحث فى أعماق هذا الصندوق عن شىء يأكله !!

يحدث هذا فى قلب نيويورك ·· قلب مانهاتن ·· مدينة المال والمدنية ·· كيف ؟! كيف مع أن العامل هنا يحصل من الحكومة على معونة اذا تعطل عن العمل ؟!قال لى أمريكى من رجال الأعمال هنا عندما سألته هذا السؤال الذى ظل يحيرنى ··

«هذا الذى ترينه يحصل على معونة من الحكومة لكنه ينفقها كلها على الخمر وربما على أشياء أخرى ·· ولا يتبقى له شىء ليأكل به ·· وعندما يعضه الجوع يبحث عن الطعام فى أى مكان حتى لو كان صندوق قمامة ·· وبأى وسيلة حتى لو كانت

أن يشهر فى وجهك مدية مهددا ومطالبا ببضعة دولارات وأحيانا دولار واحد ليأكل به ·· بل انه قد يرتكب جريمة كاملة من أجل الحصول على هذا الدولار » ·

ان نيويورك تجمع كل شىء ·· كل الجنسيات ·· كل التناقضات ·· ففى « مانهاتن » المال والمتعة وفى لوور مانهاتن » أو مانهاتن السفلى الفقر والجريمة ·· وفى شارع « ٤٢ » كل أنواع المتعة المحرمة من الصور والأفلام الى الجنس الحى على المسرح أمامك ·· بل ما يحدث فى شارع ٤٢ نفسه أحيانا ما يتفوق فى الاثارة على ما يحدث فى ملاهيه وعلب الليل فيه ·· فعندما اخترقت بى السيارة هذا الشارع ·· قال لى السائق بهدوء وكانه اعتاد على توجيه مثل هذه التعليمات لركابه ·

« اذا سمحت اغلقى النافذة التى بجوارك » كان الوقت مساء ·· فأغلقت النافذة ممتثلة لأوامره ·· فقال ·· يجب أن يأخذ الانسان حذره فى هذا الوقت وفى هذا الشارع بالذات فلا يمكن ان تتوقعى ما الذى يمكن أن يحدث » ·· كان الشارع ممتلئا بالمارة وبالذات بالمتسكعين ·· وكانت أضواء الملاهى ودور السينما تحوله الى نهار من المتعة الصاخبة ··

وفى صباح اليوم التالى اخترقت بى السيارة الأجرة نفس الشارع ·· شارع ٤٢ ·· عندما رأيت فتاة تتحرك بعصبية على الرصيف ·· تروح وتجىء ·· وقد خرجت الشتائم من فمها كالقذائف وهى تلوح بيديها فى حدة بينما كان يواجهها رجل فى منتصف العمر ·· يرتدى ملابس غير متناسقة ·· وقد أخذ يجذبها من يدها وهو ينهال عليها بالسباب ·· وقد التف حولهما عدد من أبناء الشارع ·· فتيات وشبان ·· نساء ورجال ·· نساء يرتدين ملابس فقيرة مكشوفة ·· ورجال يرتدون خليطا من الألوان والموضات ··

وقد أخـذ الجميع يتسـكعون حولهمـا وكأنهم يسـتمتعون بمشاهدة احدى « النمر » الفنية ·· ولم يحاول أحدهم التدخل ·· بل احتفظوا بابتسامة سـاخرة باردة وهم يراقبون المشـهد الذى يبدو انه كان لحظة الانفجـار لنقـاش بدا بين الاثنين حول أرباح الليلة المـاضية ويبدو أن هـذا هو المشهد التقليدى فى فيلم الحياة اليومية فى شارع ٤٢ فى نيويورك !!

واذا كان هـذا هو ما يحدث فى شارع المتعة فى عز النهار ·· فان ما يحدث فى « الباترى بارك » أدهى وأمر ·· « الباترى بارك » من أشهر حدائق نيويورك وهى تقع على حافة « مانهاتن » ناحية مياه النهر ·· وتبدو من الخارج حديقة خضراء غناء ·· لكن قبل أن أضع قدمى لادخلها كان التحذير يلاحقنى فهى من أخطر الحـدائق هنا ·· فداخل ممراتها يبـاع الحشـيش وكل أنواع المخدرات فى وضح النهار ·· وكأنها قد تحولت الى سوق لهـذه التجارة ·· والغريب أن البوليس يعلم بهـذا ·· والأغرب ·· أن رجال بوليس نيويورك يقفون أمام بوابات « الباترى بارك » وكأنهم يحرسونها ·· ويحرسون ما يجرى بداخلها ! ويقفز فى ذهنى تساؤل ·· هل هناك اتفاق من نوع خاص ·· هل هناك مصلحة ·· ما الذى يمنع هـذا البوليس من أن يلقى القبض على من يتاجرون فى السموم التى تفتك بعقل ومستقبل أمريكا ·· بعقل ومسـتقبل شبابها ·· ولمـاذا يتحولون الى حراس يحرسون تجارة السموم ومن يتاجرون فيها ؟ !

والمخدرات لا تباع علنا فى « الباترى بارك » فقط بل وأيضا فى « الفيلج » ·· وفى الشوارع وفى أى وقت نهارا أو ليلا ·· و « الفيلج » أو القرية ليست سوى شارع ممتد يحوطه حى فى وسط نيويورك ويضم ملاهى متعددة الجنسيات ·· وهو يشبه الى حـد كبير الحى اللاتينى فى باريس ·· فهو أيضا حى الفنانين وهواة السـياسة فى نيويورك وانت اذا دخـلت « الفيلج » ·· قد تجـد المخدرات تباع علنا ·· وتجد مجموعات هواة السياسة تحتد فى

المناقشات ·· أو تجد مجموعات من الفنانين يمارسون فنونهم أو حياتهم البوهيمية ·· لذلك فالفيلج من أشهر ما يمكن أن تزوره فى نيويورك ·

ولأن نيويورك هى مدينة المتناقضات فهناك الأمريكى الذى يعشق الحياة فيها ·· ويعتبر الحياة فى أى مدينة أخرى هى الموت بعينه ·· وهناك الأمريكى الذى يهرب ويفزع من الحياة فيها ·· لكن المؤكد أن من يعتاد على الحياة فى نيويورك لا يستطيع تغييرها بالحياة فى أى مدينة أمريكية أخرى ·· رغم أن الخطر يجثم فى أماكن كثيرة فيها ·· وخاصة فى أنفاق وعربات « الأندر جروند » فانت يمكنك أن تستقل أحد قطارات مترو الأنفاق فى ساعات النهار وبقدر من الحرص والحذر ·· أما ساعات الليل فانك اذا استخدمت الاندر جروند كوسيلة مواصلات لتنتقل من مكان الى آخر ·· تكون كمن وجه فوهة مسدس الى رأسه · مسدس عنف مستعد للانطلاق فى أى لحظة · وبلا أى انذار فالأندر جروند يتحول فى نيويورك وفى الليل الى مرتع للدعارة والمخدرات والباحثين عن الدولار بحد المطواة ··

وكانت آخر قصة سمعتها هنا عن عالم الليل فى الاندر جروند هى قصة حكاها لى شاب مصرى يعمل فى أحد فنادق « مانهاتن » ·· حكى انه أنهى عمله فى الفندق فى وقت متأخر ولم يكن أمامه سوى أن يستقل أحد قطارات الاندر جروند ليعود الى منزله فى احدى ضواحى نيويورك ·· استقل احدى العربات · وجلس يغالب النعاس والارهاق ·· وفجأة برز فى مقدمة العربة شاب أسود يحمل فى يده مدية وأرتسم الرعب على وجه الركاب العائدين من عملهم فى هذا الوقت المتأخر فى الليل ·· وتقدم الشاب الأسود الى منتصف العربة ·· تقدم وهو يطوح المدية فى الهواء وينظر اليهم فى تحد ·· وشل الرعب الجميع ·· لكن أحد العاملين بالقطار رأى ·· ما يحدث من العربة التالية فابلغ سلطات الأمن ·· وفى المحطة التالية كان البوليس يهاجم القطار ··

ولان ما حدث كثيرا ما يحدث ·· فقد تم تكثيف البوليس الخاص بالمواصلات وخاصة الذين يتواجدون فى محطات الاندر جراوند وعربات خاصة فى منطقة « لوور مانهاتن » حيث ينتشر الفقر والجريمة وحيث تزداد المخدرات والدعارة والجرائم خاصة فى الليل ·· بل أن سكان نيويورك أنفسهم قاموا بتشكيل بوليس خاص بهم يطلقون عليه « جارديان انجلز » أو ملائكة الحراسة وهم مجموعة من سكان كل حى يتطوع كل فرد منهم بساعتين من وقته فى الأسبوع للقيام بورديات مراقبة للأمن فى الحى ولهم زى خاص بهم وعـربات خـاصة يتم شراؤها من التبرعات المـالية التى يتم جمعها من سكان الحى ··

لكن أجمل ما فى نيويورك هو « برودواى » شـارع المسرح والفن وربمـا تقضى أياما عـديدة وترحل ويبقى فى ذاكرتك عمل مسرحى امتعك على أحد مسارح برودواى الشهيرة ··

● ● ●

أمريكا

وجه بلا قناع !

أمريكا فى حقيقة الأمر مجتمع لا يرتدى قناعا !

مجتمع يسفر عن وجهه ·· تستطيع أن تلتقط فى لحظة كل عيوبه وكل مميزاته ايضا · ولأنه وجه بلا قناع ·· فقد يدهشك ·· يصدمك ·· يجعلك تطلق صيحات الاستنكار ·· لكن المؤكد أن أى مجتمع آخر لو خلع قناعه وأسفر عن وجهه ·· فربما تندهش أكثر ·· تصدم أكثر ·· تطلق صيحات استنكار أكثر ·

أمريكا مجتمع لا يرتدى قناعا لأن الأمريكى يخشى نفسه قبل أن يخشى الله أو الآخرين ··

الأمريكى يحسب ألف حساب لنفسه قبل أن يحسب حساب الله أو ما يمكن أن يقوله الآخرون ·

أمريكا ·· مجموعة أفراد جاءوا من شتى أنحاء العالم لا يملكون شيئا سوى حلم يملأ رؤوسهم ولا يجمعهم شىء سوى لقب « مهاجر » ·· نحتوا فى الصخر ·· واجهوا الحياة ·· صنعوها لم تكن حياتهم طفيلية بل كانت حياتية موت أو حياة ·· بقاء أو فناء ·· لذلك يعيش الأمريكى حياته الى أقصى درجة ·· يحاول

الاستمتاع بكل دقيقة ٠٠ لا يوافق على الاستمرار فى تجربة فاشلة لانه يضع فى ذهنه شيئا واحدا ٠٠ هو انه يعيش مرة واحدة ٠٠ مرة واحدة فقط ! الأمريكى يستمتع بحياته ويرفض الشيخوخة ولذلك يحاول تأجيلها بقدر استطاعته ولذلك أيضا جعل سن التقاعد فى أمريكا سبعين عاما ٠

ربما لنفس هذه الرغبة الشديدة فى الاستمتاع يكره المجتمع الأمريكى التعمق فى أى شىء خارج نطاق العمل ٠٠ ولذلك تشوب ثقافته بعض السطحية ٠٠ ولذلك فعندما كنت أتحدث مرة مع أحد الشبان الأمريكيين قال لى فى تعجب ٠ لماذا تفكرون كثيرا ٠٠ وتحللون ٠٠ وتصنعون نظريات ؟ واكتشفت فعلا اننا نستهلك وقتا ليس بالقصير فى التفكير فى تصرفاتنا وتصرفات الآخرين وتحليلها وتنظيرها ٠٠ وهذا يبدو عجيبا بالنسبة للأمريكى ٠٠ فالأمريكى عادة لا يستغرق وقتا فى التفكير والتحليل ٠٠ أو أنه فى الحقيقة يفكر وهو يخطو ٠٠ أو هو يخطو وخطواته هى فى ذات الوقت أفكاره مجسدة ٠٠ فالأمريكى لا يستغرق كثيرا فى التفكير ٠٠ لا يحلل كثيرا حتى يتخذ قرارا ٠٠ بل ان خطواته وتصرفاته تقوده تدريجيا الى قراره ٠٠ ربما لهذا السبب يبدو حجم استمتاع الأمريكى بحياته كبير وربما هولا يستهلك رأسه وأعصابه فى التفكير والتحليل لانه يفضل أن يستمتع أكثر ٠٠ حتى لو كان هذا الاستمتاع بكأس أيس كريم أكبر كثيرا مما قد يتصور أحد ٠٠ أو « كيس بوب كورن » فشار فى حجم مبالغ فيه ٠٠ أو كوب كوكاكولا عملاقة ٠٠ واستمتاع الأمريكى فى الطعام والمسليات يبدو واضحا فى حجمها الكبير جدا بشكل مبالغ فيه وبشكل لا نجده مثلا فى أوروبا أو أى مكان آخر ٠

ربما تكون هذه الرغبة المبالغ فيها فى الاستمتاع هى التى تغطى ثقافة الأمريكى بمسحة من السطحية فالتليفزيون الأمريكى يصيبك بالملل وقد لا تجد فيه ما يشدك ويحرك أفكارك ومشاعرك الا نادرا ٠٠ وأخطر ما فى التليفزيون الأمريكى وأكثره امتاعا لك

هى نشرات الأخبار التى تقدم تغطية اخبارية خطيرة تنقلك الى مكان الحدث وكأنك تعيشه ٠

مهما كان هـذا الحدث ٠٠ فقد تحولت الحرب فى لبنان الى جزء من حيـاة الفرد الأمريكى ٠٠ فاخبار ما يجـرى فى لبنان لا تقدم لك فى ورقة يقرؤها مذيع فى اسـتوديو ٠٠ لكنك فى لحظة تجد التليفزيون ينقل صورة مندوبه فى أرض المعركة ٠

فى وسط لبنان والدبابات حوله والجنود والطلقات تتوالى وهو يذيع لك آخر الأخبار والتحليلات وربما لذلك فالسياسة عند الأمـريكى تقترب كثيرا من السـينما وتختلط بها والشخصـيات السياسية الأمريكية والعالمية ينظر اليها الأمريكى نفس نظرته الى نجوم هوليود ٠

أما الحلقات والمسلسلات فهى أما من النوع البوليسى أو من نوع « الويسترن » أى رعاة البقر التى لا يمكن أن تشدك ٠٠

والغريب حقا أن المسلسلات الناجحة التى نستوردها أحيانا من التليفزيون الأمريكى هى بالفعل أفضل ما يقدم على شـاشته وأكثره ندرة فى ساعات ارسـاله الطويلة وقنواته المتعـددة ٠ أما المحطات الخاصة التى تدفع مقابلها اشتراكا لتحصل على « ايريال » استقبال خاص يتيح لك التقاط ارسالها فهى تقـدم لك اما افلام رعب ساذجة أو أفلاما جنسية وكلها ليست على مسـتوى جيد بأى حـال من الأحوال ٠

طريقة استمتاع الأمريكى بحياته تبدو أحيانا عجيبة أو ذات طراز خاص أو طابع خاص يميزها ٠٠ والذى يشـارك فى أحـد الأعياد القومية الأمريكية يدرك هـذا وقبل أن يأتى اليوم كنت قد سمعت عن « تاست أوف شيكاغو » وهى الطريقة التى تحتفل بهـا شيكاغو بالعيد القومى الأمريكى ، وقررنا أن نشارك نحن أيضا فى هـذا اليوم لنستمتع ونرى كيف يستمتع الأمريكى ٠ وفى الصباح

كنا مجموعة كبيرة من المقيمين فى البيت الدولى نستقل القطار الى وسط المدينة حيث يقام الاحتفال فى احدى الحدائق التى تحتل مساحة رهيبة من المدينة ·· مساحة لا يمكن تصور أن تحتلها حديقة ·· وفى ثوان كانت أرض هذه الحديقة مزروعة بالآف البشر ولم يعد شبر خاليا · احتشدت جموع الأمريكيين ·· رجال ونساء وأطفال فرشوا قطع أقمشة ·· مفارش ·· سجاجيد صغيرة على الحشائش وجلسوا عليها ·· آلوف جالسة وآلوف تروح وتجيء بصعوبة من شدة الزحام ·· عشرات الأكشاك التى تبيع الأطعمة والمشروبات ، بالونات ملونة على شكل وجوه ونجوم وحيوانات ···

أطواق للشعر يمتد منها سلكان حلزونيان فى نهاية كل منهما نجمة تلمع بألوان مختلفة ·· يرتديها الكبار والصغار ·· الرجال والنساء ·· البعض رسم نجوما على وجهه وأشكالا ملونة ··

مدينة للملاهى ·· عربات تبيع الهدايا ·· مسرح كبير تقدم عليه بعض الأغانى القومية ويرددها مع الفرقة الصغيرة الجمهور الضخم ·· وصواريخ تنطلق فى ظلام المساء ·· المهم أن هذا الاحتفال الضخم يتبلور فى شىء واحد ··الزحام الشديد ·· الزحام الى حد انك تختنق ·

بشر يسيرون فى كل اتجاه بلا هدف يصطدمون ببعضهم ·· يجدون صعوبة شديدة فى أن يخطو خطوة واحدة ·· الزحام الشديد يحولهم الى كتلة ملتصقة لا تفعل شيئا سوى دفع النقود فى الأكشاك والحصول على « بونات » لشراء الطعام والاحتشاد أمام أكشاك الطعام والصراع للحصول علي صنف من أصناف الطعام · وكوب بيرة ·· وفى العودة ·· وساعات الفجر تقترب ·· كانت الشوارع المحيطة بالحديقة تبدو وكأنها تجتاحها مظاهرات للغوغاء ·· ومحطات القطار معبأة عن آخرها ببشر كل منهم يحلم بأن يصل الى أن يضع قدمه داخل القطار ليصل الى فراشه منهكا ·· مهدودا لم يفعل شيئا طوال اليوم سوى صراع التحرك وسط الزحام وتناول

مختلف الأطعمة وهو فى النهاية أسلوب استمتاع على الطريقة الأمريكية ٠

الحيـــاة فى أمريكـا خطـوة يجب أن تخطـوها فى كـل لحظـة عمل تؤديه فى كل دقيقـة قرار تتخـذه فى كل ثـانية ٠٠ والحيـــاة فى أمريكـا لا تسـير وأنت منـوم ٠٠ طفيـلى ٠٠ لا تفعل شـيئا ٠٠ لأن مـا تفعله يتحـكم فى أن تعيش ٠٠ أو لا تعيش ٠٠ أن ترتفع الى القمة أو تسقط الى قاع المجتمع ٠٠ فأنت فى أمـريكا لا ترتقى بالاقدمية أو مراعاة الخواطـر ٠٠ وعملك لا يتحـكم فقط فى ان ترتقى أو لا ٠٠ بل ان تجد دخلا أو يختفى هذا الدخل فجأة ٠٠ ان تذهب الى عملك فى اليوم التالى ٠٠ أو تجد نفسك فى الشارع بلا عمل ٠٠ بلا دخل ٠٠ وعدم الاستقرار هـذا هو الذى خلق كل هـذه المدنية وكل هـذه التكنولوجيا وهـذا التطور الصاروخى ٠٠ والاستقرار عندنا هو المسئول الحقيقى والذى يجب محاسبته عن التواكل والتكاسل وعدم الرغبة فى الحـركة وتوقف الحياة ٠٠ وتوقف الجديد فى حياتنا ٠٠ واختفاء الجديد فيما نفعله بحياتنا وما نقدمه ، لتطورنا ٠

أمريكا حرية ٠٠ تطور ٠٠ عنف !

الحرية فى أمريكا تعطى الانسان الفرصة ليحيا حياته كما يريد ربما نشعر نحن اننا محرومون من هذا ٠٠ اننا نحتاج الى اجراء استفتاء واسع النطاق لنستطيع فى النهاية أن نتخذ قرارا ٠٠ اى قرار فى حياتنا ٠٠ بينما الأمريكى لا يستفتى سوى عقله ليتخذ أى قرار فى حياته ٠٠ ويتخـذ القـرار بدون أن يضع فى حسابه الآخرين ٠٠ بينما كثير من القرارات تحتجب فى حياتنا ولا تتحول الى فعل خوفا من الآخرين ٠٠

لكن الحرية فى أمريكـا كثيرا ما تغتـال البراءة ٠٠ براءة الصغار ٠٠ براءة العـلاقات الاجتمـاعية ٠٠ براءة العـلاقات العاطفية ٠٠ براءة الانسان ٠٠ براءة الاحساس ٠ أنت فى لحظة

تحسد امريكا على حريتها •• وفى لحظة ترثى لها على ما تدفعه ثمنا لهذه الحرية •

امريكا •• مدنيــة ••تطور •• تكنولوجيا • والذى قال ان المدنية تسحق الانسان اما انه لم ير المدنية مطلقا ولم يجربها او انه كان لا يريد تحريك غيرته • فاننى عندما كنت اراقب المدنية وما تفعله بالانسان فى أمريكا أضحك ساخرة من العبارة التقليدية والتى تقال دائما وهى ان المدنية تسحق الانسان •• تأكله •• تلتهمه تلغى انسانيته •• والحقيقة كمــا رايتهــا فى امريكا •• وطن المدنيــة •• هى ان المدنيــة تعطى الانســان هنا مزيدا من احساسه بنفسه •• تعطيه قدرا هائلا من الثقــة بالنفس •• من الشعور بأهميته • الانسان فى ظل المدنية يشعر بأهميته أكثر كثيرا من واقع هذه الاهمية وحجمها وحقيقتها !

ولذلك لا تندهش اذا شاهدت شخصا فى اى مكتب للطيران أو الســياحة أو فى مطعم أو أحــد دور اللهو فى اى مكان من العالم •• شخصا يطالب بكل الخدمات الممكنة وحتى غير الممكنة •• يطلبهــا كحق طبيعى ومنطقى له ، لا تندهش •• ويجب ان تعلم انه شخص يطلب ما اعتاد الحصــول عليــه •• ويجب ان تدرك من أول وهلة انه بالضرورة امريكى !

ان الامريكى اعتاد على أن المدنية هى خادمه المطيع •• أو خاتم سليمان الذى يضعه فى أصبعه والذى ما ان يدعكه حتى يخــرج له مارد ينحنى قائــلا « شبيك لبيك » •• ويحقق له كل ما يريد وكل ما يحلم به •

نفس هذه المدنية هى التى تجعل الامريكى يتقاضى تعويضا عن أشياء لا يمكن ان تصدقها ولاسباب قد لا تخطر ببالك خاصة اذا كنت من ابناء العالم الثالث الذين اعتادوا على بلع المسامير والسقوط فى المجــارى وتناول الاطعمة التى تحــولت الى سموم

بمضى الزمن ‥ دون أن يندهش أحد ‥ أو يثور أحد ‥ فعندما تختفى المدنية أو تحتجب يصبح الانسان رخيصا الى حد لا يمكن تصديقه ‥ وعندما تسيطر المدنية وتنتشر يصبح الانسان غاليا وذا قيمة لا تواثيها قيمة لأى شىء آخر ‥ فيحصل الأمريكى على تعويض لأن قدمه زلت على أحد السلالم ‥ ويصبح مصمم هذه السلالم فى موقف لا يحسد عليه لانه لم يجد تصميمها جيدا بحيث لا يسقط صاحب السعادة الفرد الامريكى ٠

الامريكى يحصل على تعويض لان حمام سباحته لا تتوفر فيه كل المواصفات التى طلبها والتى قيل له أنها تتوفر فيه ‥ الامريكى يحصل على تعويض اذا أصابه مغص خفيف بعد أكلة فى مطعم وياويل صاحب المطعم من قيمة التعويض الذى يمكن ان يدفعه ‥ الامريكى يعيد الشىء الذى اشتراه للمحل مهما مضى من زمن على شرائه ويكفى انه لا يعجبه ويستقبلونه بابتسامة وكلمة ود وكأنه جاء لشراء المحل كله وليس اعادة ما اشتراه من زمن !! ربما لهذا يبدو الامريكى ودودا فلا شىء يضغط على أعصابه الى حد العصبية والتجهم ‥ فالامريكى عادة ودود ويحمل ابتسامة هادئة منشرحة على وجهه ٠

تستطيع أن تشعر بهذا الود من تعاملك فى المطاعم ‥ فى المحلات التجارية ‥ فى السوبر ماركت ‥ فى الاتوبيس ‥ فى محطات الاندرجراوند ‥ والأمريكى يستعمل عبارات تقليدية لاظهار هذه المودة ‥ وهو دائما يردد فى وجهك « يوم سعيد » ‥ « مساء سعيد » ‥ « عطلة نهاية أسبوع سعيدة » ‥ « استمتع بوقتك » وهى كلها تحمل معنى واحدا ‥ هو انه يتمنى لك السعادة والوقت الممتع ٠

والذين يعاشرون الامريكى يختلفون حول هذه المودة ‥ البعض يقول انها طريقة مهذبة لجذب الزبون ‥ والبعض يقول انها طبيعة الشعب الذى تجمعه الغربة فيحاول ان يذيبها ‥ والبعض يقول ان هذه المودة ليست سوى قناع يخفى حقيقة النفس

والشخصية الأمريكية والبعض يقول انها مودة تقتصر على الشفاه ولا تمتد الى القلب • ومهما كانت حقيقة كل هذه التفسيرات والتحليلات •• فالمؤكد أن هذه المودة تشعرك بالراحة والترحاب وانك شخص مرغوب فيه تعامل باحترام ومودة سواء كانت هذه المودة طريقة ذكية للتعامل أو احساس حقيقى ••

لكن هذه المودة تختفى تماما من نظرة الأمريكى للآخرين •• لابناء الشعوب الأخرى •

فالأمريكى فى هذا لا يختلف كثيرا عن النازى فاذا كان الألمانى فى ظل النازية كان يشعر انه الجنس الأفضل فى العالم من ناحية العنصر •• فان الأمريكى يشعر انه الأقوى فى العالم لأنه يملك سلاح اليوم •• يملك المدنية •• يملك التكنولوجيا •• ويملك معهما مقدرات العالم •

الامريكى يشعر بقوته وما يملكه ونقطة ضعفه الوحيدة أى شىء قديم •• أى شىء يحمل طعم السنين •• له رائحة التاريخ •• وهو الشىء الوحيد الذى لا يملكه الامريكى •• التاريخ • لذلك ينبهر الامريكى أمام سجادة عتيقة أو فازة قديمة حتى لو كانت من الخشب المتآكل أو حتى صورة قديمة لشخص يرتدى ازياء تعود الى سنين الى الوراء ويحيطها برواز بال •• ولذلك يحاول الأمريكى أن يوهم نفسه ويوهم الآخرين بأنه يملك تاريخ ففى ديزنى وورلد مدينة السحر والمتعة يصنع الأمريكى تاريخه فى مجموعة من التماثيل الخشبية يحمل كل منها ملامح أحد الرؤساء الذين حكموا أمريكا •• وتسلط الأضواء على كل تمثال بدوره ليحكى تاريخ الفترة التى حكمها رغم ان هذا التاريخ لا يمتد طويلا الا أنه يروى بطريقة وكأنه يحكى أحداث آلاف السنين •

كل شىء فى أمريكا كبير الحجم •• الشوارع •• ناطحات السحاب ••
•• أكواب الكوكاكولا •• أكياس الفشار •• كئوس البيرة •• والشىء الوحيد الصغير الحجم هنا هو الاحترام •• فالامريكى

لا يحترم أى شىء ·· يفعل ما يريد ·· يقول ما يريد ·· يتحـرك كما يريد ·· ولا يبالغ فى احترام أى شىء أو أى شخص ·· هل هى زيادة احتـرام لحـريته هو أم ·· هل هو رفض لكل تقـاليد العالم القديم فى أرض العالم الجديد ·· ربما ·

أمريكا ·· عنف ·· أمريكا مجتمع اعتـاد على العنف · والأمريكى يستمع الى أخبار الجرائم بنفس الطريقة التى يستمع بها الى النشرة الجوية ·· رغم ان معظم هـذه الحوادث تبدو غريبة بل شاذة بالنسبة لأى غريب ·· ففى يوم واحـد أذاع التليفزيون الأمريكى فى نشرة أخباره خبرا بأن أحد العمال فى احدى الورش الكبرى فى ميامى لم يعجبه نظام العمل فى الورشة فأطلق النار على كل من فيها فقتل تسـعة أشـخاص وجرح ثلاثة ، وفى نفس نشرة الأخبار اذيع خبر للمحـاكمة التى كانت قد بدأت فى هـذا اليوم لشاب خطف طفلتين فى يوم واحد وقام باغتصابهما !!

وطبيعى أن نتساءل : هل الجريمة فى المجتمع الأمريكى أكثر وأخطر منها فى أى مجتمع آخر ·· أم انها تبدو كذلك لان هـذا المجتمع لا يخفى شيئا بل يعلن عن كل شىء ··

واذا كان وضع الجريمة فى المجتمع الأمريكى يبـدو غريبا فان وضع القانون يبدو أغرب ·· فالأمريكى اذا اتهم فى جريمة برىء ما لم يضبط متلبسا حتى لو كانت كل الأدلة ضده وهو اذا لم ينقذ من هذا المخرج ينقـذ من مخـرج اسمه الحالة النفسية والاخضاع للكشف النفسى كما حدث مع « جون هينلكى » ··

ففى أى بلد فى العالم يمكن ان يحاول شخص اغتيال رئيسها دون ان يحكم عليه بالاعدام ·· الا امريكا التى سجلت عـدسات التليفـزيون فيها صـورة هينلكى وهو يطلق النار على الرئيس ريجان ورغم ذلك قررت المحكمة بعدها بشهور عـدم الحكم عليه نظرا لأنه ثبت انه يعانى من حالة نفسية وقررت اخضاعه للعلاج

·· معنى هذا ببساطة ان يعالج ليخرج مرة أخرى الى المجتمع ·· الى الحياة ·· ومن يدرى ما الذى يمكن ان يفعله ·

● ● ●

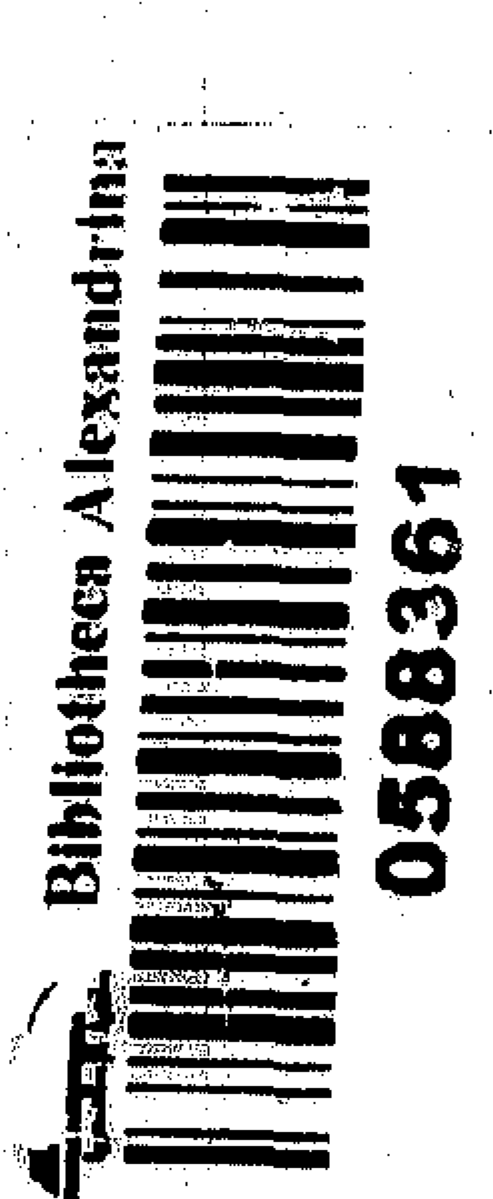
مهما امتدت أيام الرحلة فانه حتما يأتى اليوم الذى تجمع فيه اشياءك المبعثرة لتضمها حقائبك ·· وتكتشف ان أحساس الغربة الذى رافق أيامك يحل محله الآن شعور بأنك تفارق شيئا عزيزا عليك ·· جزءا من أيامك ·· تجربة مرت فى حياتك وامتدت بطولها ذكريات كثيرة ·· لحظات اكتشاف ·· حزن ·· فرح ·· غربة ·· اشتياق تأقلم ·· نفور ·· ويغزو رأسك سؤال يبحث عن اجابة ·· سؤال ظل يغازل عقلك منذ ان وطئت قدمك أرض هذا العالم البعيدة عن أرضك ·· الجديدة عن أرضك ·· عالم آخر مختلف تماما ·· ايهما تفضل عالمك ·· أم هذه العالم ؟ ·

عالمك يشكو من قلة الحرية ·· وهذا العالم يشكو من شدة الحرية ·· عالمك يشكو من الافتقار الى المدنية ·· وهذا العالم يشكو من شدة المدنية ·· عالمك يشكو من الافتقار الى الجدية ·· وهذا العالم يشكو من شدة الجدية · وكأن قدر العالم ان يظل يشكو ·· والا توجد ابدا أرض تعطى الحل للانسان ·· الا أرضه الداخلية ··· الا نفسه هو ·· هو فقط !!

رقم الايداع بدار الكتب ٣٢١٢
الترقيم الدولى ١ ــ ٠٤٨ ــ ١٧٢ ــ ٩٧٧

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص · ب ٥٨ (الدواوين) ــ تليفون : ٢٢٠٧٩

الناشر
مكتبة غريب
٢٥١ شارع كامل صدقي (الفجالة)
تليفون ٩٠٢١٠٧



الثمن ١٢٥ قرشاً

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلي) القاهرة
ص . ب ٥٨ (الدواوين) ـ تليفون : ٢٢٠٧٩